مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤

"الحملة الصليبية الأرمينية على جزيرة قبرص عام ١١٥٦م / ٥٥١هـ بين المصادر الأرمينية والسريانية والصليبية والبيزنطية والإسلامية"

أ.م.د/ هاني مهدي راتب زحير(*)

تتناول الدراسة " الحملة الصليبية الأرمينية على جزيرة قبرص عام ١١٥٦م/ ٥٥١هـ بين المصادر الأرمينية والسريانية والصليبية والبيزنطية والإسلامية ". وتبدأ بالحديث عن أهمية الموضوع وتحديد مشكلته والحديث عن صعوباته ، ثم تتناول التعريف بالأمير ثوروس الأرميني وانتقال هجرات كبيرة من الشعب الأرميني إلى إقليم كليكيا بعد سيطرة السلاجقة على أرمينيا الكبرى . كما قام الباحث بالتعريف بالأمير رينو دي شاتيون أمير إمارة أنطاكية الصليبية ، وأهم أعماله حتى مشاركته في هذه الحملة .

وتهتم الدراسة بمعالجة العديد من القضايا، وأولها أنها تسعى لمعرفة دوافعها عند كلا من الأميرين رينو دي شاتيون و ثوروس الأرميني، ثم تبحث في قضية ثانية وهي الاختلاف بين المؤرخين المعاصرين والمحدثين حول مشاركة ثوروس الأرميني في الحملة . ويعقبها البحث في مسألة قيادة الحملة ، وفي تحديد حجم القوات العسكرية لها ، ودور كلا من رينو و ثوروس فيها ، وبعدها تتناول مناقشة موقع جزيرة قبرص و تحصيناته الدفاعية وتجهيزاته العسكرية، وقوته الاقتصادية . ثم يناقش الباحث الروايات التاريخية المختلفة لتحديد تاريخ القيام بالحملة تحديدا دقيقا. ثم يضع البحث تفصيل المعارك التي جرت بين القوات البيزنطية من جانب ضد القوات الأرمينية والصليبية حال رسو أسطولهما على سواحل الجزيرة حتى استيلائهما عليها . ويكشف البحث عن أسباب عدم قيام الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (١١٤٣- ١١٨٠م) لنجدة الجزيرة، وهى انشغاله في الحروب ضد المجريين والصرب والبشناق والكومان الذين هددوا أراضى الإمبراطورية وممتلكاتها في آسيا والبلقان ، وحروبه في ايطاليا ضد النورمان .

ويستعين الباحث بالمصادر كثيرا في الحديث عن طرق معاملة قادة الحملة وجنودها لحاكم الجزيرة وقائدها العسكرى ورجال الإدارة ، والنبلاء والأثرياء الذين يمتلكون مقادير من الأموال والذهب ، وأعمال السلب والنهب فى أسواق الجزيرة العامرة ، وبيوت القبارصة بالمدن الكبيرة، وفى حقولها وريفها ، والاستيلاء على المنتجات والسلع ، والمعاملة القاسية لرجال الدين ورؤساء الكنيسة ، وسطوهم على أديرة الرجال والعذارى ، وسرقة أدوات الكنائس والأيقونات الثمينة ، وعمليات القتل والأسر ، وتحصيل الفدية من الأغنياء والنبلاء. وينتهي البحث بمعالجة قضية الفترة الزمنية التى قضتها الحملة في قبرص ، ثم عرض النتائج التى توصل إليها .

الكلمات المفتاحية: حملة، ثوروس، رينو، قبرص.

(*) أستاذ مساعد بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الإسكندرية

Abstract

"The Armenian Crusade on the Island of Cyprus in ١١٥٦ AD / ٥٥١ AH between Armenian, Syriac, Crusader, Byzantine and Islamic sources"

This study discusses " the Armenian Crusade Expedition on the Island of Cyprus in the year ١١٥٦ AD / ٥٥١ AH. Between Armenian, Syriac, Crusader, Byzantine and Islamic sources." The Researcher began by presenting the importance of the subject, defining its problem, and talking about its difficulties. Then he identification the introduction of the Armenian prince Thoros , and the movement large Armenian migrations people to the region of Cilicia after the Seljuks took control of Greater Armenia.

The Researcher also introduced Prince Renauld de Chatillon, prince of Antioch, and his most important works until his participation in this Expedition . this subject interested in many issues, the first of which is the motives of both Prince Renauld of Chatillon and Thoros the Armenian. second issue, the difference between contemporary and modern historians about the participation of Prince Thoros of Armenia in the Expedtion, and the extent of his participation. This is followed by discussion of the issue of who led the campaign, Renauld or Thoros, determining the size of its military forces, and the role of both Renault and Thoros in it. Then, it discusses the location of the Island of Cyprus, its Defensive fortifications, Military Equipment, and Economic strength. Then the researcher discusses the various historical Narratives to determine the exact date of the campaign. Then the Research details the battles between the Byzantine forces against the Armenian and Crusader forces on the coast until they seized it.

The study give the reasons for the failure of the Byzantine Emperor Manuel Komneno (١١٤٣-١١٨٠ AD) to come to the aid of the Island, which is his busy with the wars against the Hungarians. The Serbs, Bosniaks, and Cumans who threatened the empire’s lands and possessions in Asia and the Balkans, and his wars in Italy against the Normans.

Then the Reasercher uses sources extensively in talking about the ways the campaign leaders and soldiers treated the island’s Governor, its Military Commander, the Administration men, the Nobles and the Wealthy who possessed amounts of money and gold, the acts of robbery and plunder Sells Stores, the Cypriot Homes in the large Cities, in the Fields and its Countryside, and the harsh treatment of the Clergy and The Clergy, their robbery of men and Virgins 's Monasteries, the torture of Monks and Nuns, theft of Alters tools and precious Icons, the stealing of products and goods, killings and captivity, and collecting ransom from the rich and nobles for the purpose of releasing them.

The research ends by subject the issue of the period of time that the Expedition spent in Cyprus, and then presents the results he reached.

Words Key: Expedition- Thoros- Renauld- Cyprus

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤

"الحملة الصليبية الأرمينية على جزيرة قبرص عام ١١٥٦م / ٥٥١هـ بين المصادر الأرمينية والسريانية والصليبية والبيزنطية والإسلامية"

لهذه الحملة أهمية تاريخية كبيرة إذ اشترك في القيام بها اثنان من أقوى وأمهر الأمراء والقادة العسكريين في الشرق في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي والسادس الهجري وهما الأمير الصليبى رينو دي شاتيون Reynald of Chatillon أمير أنطاكية (١١٥٣- ١١٦٠م / ٥٤٨- ٥٥٥هـ) ، والأمير الأرميني ثوروس الثاني Thoros II أمير مملكة أرمينيا الصغرى (١١٤٤- ١١٦٧م / ٥٣٩- ٥٦٣هـ) .

وقد قرب بينهما جملة من الروابط والمصالح المشتركة ، ومنها التقارب الجغرافي بين الإمارتين، أمارة ثوروس في إقليم كليكيا وإمارة رينو في أنطاكية ، وتعرضهما معا لعداء الإمبراطورية البيزنطية التي اعتبرت كلا من كليكيا وأنطاكية ملكية خاصة لها ، إضافة إلى تعرضهما لهجوم الحملات العسكرية من الحكام وأمراء الممالك والإمارات الإسلامية المجاورة لحدودهما وأهمهم السلاجقة [١] بآسيا الصغرى وشمال الشام وشمال الفرات .

كما أن هذه الحملة قامت على جزيرة قبرص التي تعتبر أهم جزر البحر المتوسط ولاسيما التي فى جانبه الشرقي ، وكانت تخضع للسلطة البيزنطية ، وتحمل أهمية سياسية واقتصادية ودينية كبيرة لصالح بيزنطة ، وبالقدر نفسه ما حملته من أهمية سياسية وعسكرية كبيرة للإمارات الصليبية التي فى الشرق وخاصة أنطاكية ، وكان موقعها الإستراتيجى المقابل للساحل الشامي عاملًا مساعدًا في غاية الأهمية للتواصل بين صليبيِّ الغرب وبني جنسهم من صليبيِّ الإمارات الصليبية في الشرق ، وكانت بمثابة مركز كبير وأصيل لتوصيل الإمدادات العسكرية والمادية التي تصل إلى الشرق الفرنجي من الغرب اللاتيني . هذا بالإضافة إلى اكتظاظها

(١) السلاجقة : هم قوم من الأتراك الغز ينسبون إلى زعيمهم الأكبر سلجوق بن تقاق ، ارتحلوا من منطقة قرغيز في تركستان إلى بلاد ما وراء النهر ، وسكنوا هناك فترة و اختلطوا بالمسلمين واعتنقوا الدين الإسلامى ، وبعدها رحلوا إلى إقليم بخارى ومنها عبروا نهر سيحون واستقروا في إقليم خراسان بقيادة زعيمهم قتلمش ، و ألحقوا الهزيمة بقوات الدولة الغزنوية ، ونجحوا في الاستيلاء على خراسان كلها بقيادة زعيمهم طغرل بك في عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م ، وأسسوا دولتهم ، ومدوا نفوذهم في إيران وشمال العراق وبلاد أرمينيا وأسيا الصغرى ، واستولوا على بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ، ثم تولى ألب أرسلان السلطنة بعد وفاة عمه طغرل بك ، وهزم البيزنطيين في معركة مانزكرت عام ١٠٧١م / ٤٦٣هـ ، وامتد نفوذ السلاجقة في بلاد الشام وفلسطين على يد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان وأخيه تاج الدولة تتش . وانقسمت دولة السلاجقة إلى سلاجقة الروم وسلاجقة الشام .
السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ٣٢٣ – ١٠٨٣م ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥، ص ٨٤٦ وما بعدها . ؛ محمد محمد مرسي الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧م- ١١٤٤م ، الإسكندرية : دار الثغر ، ١٩٧٤، ص ١١ – ١٨.

بالأسواق والمتاجر التي يتوفر بها مقادير كبيرة من السلع الحيوية والأغذية والبهار والأقمشة مما جلب من بلاد الشرق والغرب معا ، وهو ما جعلها مركزًا تجاريًّا اقتصاديًّا له أهمية كبيرة بين السواحل والجزر والدول والممالك الكائنة في حوض البحر المتوسط .

ومما لفت انتباه الباحث لهذا الموضوع أنه لا توجد دراسة سابقة مستقلة عنه عربية أو أجنبية تلقى قبولا لدى المتخصصين، وتمنحه ما يستحقه من الأهمية التاريخية على النحو الذي قام به الباحث في مراحل هذه الدراسة . اللهم إلا سطورًا وفقرات قليلة في كتب مؤرخي الحروب الصليبية على عمومها ، لا تكفي ولا تشبع حاجة الباحثين المتزايدة للدراسة والبحث.

ولعل سبب ابتعاد الباحثين عن دراسته يكمن في تبعثر مادته التاريخية في العديد من اللمصادر ، مثل المصادر اللاتينية واليونانية والأرمينية والسريانية . إضافة إلى عدم توفر مادة تاريخية له في المصادر العربية والإسلامية مما أدى إلى إحجام البعض عن دراسته وبحثه.

كما أن مصادره الأصلية الأرمينية والسريانية والصليبية قليلة ، وتوجز في تتبع سير أحداثه ولا تورد سوى معلومات موجزة وإشارات فقط ، تحتاج من الباحث الجاد والمدقق بذل الكثير من الوقت والجهد لجمعها واستعراضها ودراستها في ضوء طبيعة العصر الذي تنتمي إليه ، وتحصيل ما ورد لدى المصادر الأخرى من روايات وأخبار تفسر بعض جوانبها ، والمقارنة بينهم بالقدر الذي يجلي غموضها ويجعلها قابلة للدراسة والبحث . ويكفي للدلالة على تحديات البحث القول بأن أهداف الحملة وقيادتها وتكوينها وحتى توقيتها والمدة الزمنية التي قضتها على أرض الجزيرة ، كل ذلك محل جدل وخلاف بين المصادر المختلفة على ندرتها ؛ مما تتطلب من الباحث بذل المزيد من الجهد في محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية التي هي غاية البحث التاريخي.

أما أهم المراجع الأجنبية التي تعرضت لبعض جوانب الموضوع فكان كتاب قديم يعود لنهاية القرن التاسع عشر لمؤلفه الفرنسي جوستاف شلمبرجر Schlumberger بعنوان " رينو دي شاتيون أمير أنطاكية وسيد إقليم ما وراء الأردن " [٢]، هذا الكتاب وضع لدراسة أعمال رينو الأنطاكي ، واحتوى على سيرة له ، ولكنه أوجز في الحديث عن اشتراكه في الحملة الصليبية الأرمينية على قبرص، ولم يفرد لها سوى صفحات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، ولم يستعن في معالجتها بالمصادر الأرمينية المعاصرة لها ، بما لها من أهمية كبيرة ، ولم يعمل جيدا على عرض المصادر الصليبية واليونانية ، واستخلاص المادة التاريخية منها ، وتوظيفها بالغرض الذي يكفي معالجة الموضوع من جوانبه العديدة ، ولذلك فاته الوقوف على العديد من

(٢) Schlumberger G., Renaud de Châtillon, prince d'Antioche, seigneur de la terre d'Outre-Jourdain,Paris, ١٨٩٨ .

أحداثها ، وجاءت دراسته ينقصها التدقيق العلمي نوعا ما ، ولكن يحسب له اهتمامه بدراسة شخصية رينو ، في وقت مبكر حيث كانت كثير من مصادر العصور الوسطى لا تزال بلغتها الأصلية ولم يترجم منها إلى اللغات الحديثة بالإنجليزية والفرنسية سوى القدر القليل ، وبعضها لم ينشر .

ومن المراجع الأخرى كتاب "تاريخ الحروب الصليبية " [٣] للمؤرخ الإنجليزي ستيفن رنسيمان ، وقد مر على موضوع الحملة مرور الكرام ، وأوجز في حديثه عنه ، حتى إنه لم يفرد لها في تاريخه الكبير سوى صفحة واحدة فقط وبشكل موجز وعارض.

وكان أهم المراجع العربية كتاب الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور وعنوانه " قبرص والحروب الصليبية " [٤]. تحدث فيه عن علاقة الجزيرة بالحروب الصليبية ، لكن ما ورد فى هذا المرجع عن موضوع دراستنا قليل جدا وعبارة عن فقرة واحدة فقط . وركز مؤلفه على دراسة الفترة التى تبدأ باستيلاء الملك الصليبي ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion (١١٨٩ – ١١٩٩م) على الجزيرة ومنحها إقطاعية للملك الصليبي جي دي لوزينيان (١١٨٦– ١١٨٧م) Guy of Losgnan ليبدأ تاريخ جديد لها في عهد هذه الأسرة يمتد منذ عام ١١٩٢م حتى عام ١٤٧٢م ، وركز على علاقة الصليبيين بالجزيرة بعد سقوط إماراتهم ببلاد الشام وفلسطين وتصفية نفوذهم بها ، واستفاض في الحديث عن دولة المماليك الأولى والثانية بمصر والشام وعلاقاتها بمملكة أسرة لوزينيان بقبرص ، وعلاقة السلاجقة بالجزيرة خلال فترة حكم هذه الأسرة الصليبية . ولكن استفاد الباحث من هذا المرجع في جوانب أخرى من بحثه ولاسيما في مقدمته التي جاء بها من مادة تاريخية مهمة عن التعريف بالجزيرة وأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية للصليبيين في الشرق ، وتاريخها تحت النفوذ البيزنطي .

ومن المراجع العربية الأخرى كتاب الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران بعنوان " السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣– ١١٨٠م)" [٥] ، وتحدث عن هذه الحملة في نهاية الفصل الثالث من كتابه في صفحات قليلة لا تزيد عن محتواها عند جوستاف شلمبرجر الفرنسي ، ولم تغطِ الموضوع من كافة جوانبه ، ولكن الباحث استفاد من هذا المرجع في تتبع دوافع كلٍّ من رينو الأنطاكي ثوروس الأرميني التي شجعتهما على الاتفاق معا لغزو جزيرة قبرص .

---

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس) ، ترجمة السيد الباز العريني ، ج ٢ الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢١٠ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢.

(٥) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ ١١٨٠م ، الإسكندرية : دار المعارف ، ١٩٨٤.

ويبدأ موضوعنا بتمهيد يتحدث عن الأمير ثوروس ، فهو ينتمى لشعب الأرمن ، وهم من الشعوب القديمة التي تنتمي للجنس الآري الهندو أوربي مثل الكلت والفرس والجرمان . وعبروا إلى أوروبا ومنها إلى آسيا الصغرى Asia Minor عن طريق مضيق الدردنيل Dardanellus - Hellespont الذي يفصل الساحل الأوروبي عن الأسيوي ، وارتحلوا إلى المنطقة الواقعة جنوب سواحل البحر الأسود Euxin Sea ويسمى بحر بنطس Pontus Sea حيث كان يعيش الحيثيون Hittite واصطدموا بهم وتغلبوا عليهم منذ القرن السابع قبل الميلاد [٦]، وامتدوا حتى وصلوا شرق هضبة الأناضول Anatolia بوسط وشرق إقليم آسيا الصغرى ، و جاوروا بحر قزوين Caspian Sea وأذربيجان وإيران من ناحية الشرق ، وانتشروا شمالا حتى بلغوا الشواطىء الجنوبية للبحر الأسود وإقليم جورجيا ، وغربا حتى جبال بنطس Pontus Mountain التي تقع جنوب وغرب البحر الأسود ، أما من ناحية الجنوب فامتدوا حتى مرتفعات جبال طوروس Mountain Taurus وسهول العراق .[٧]

أما الوطن الثاني للأرمن وهو إقليم كليكيا Cilicia فكان يحده من الشرق جبال الأمانوس ومن الشمال والغرب جبال طوروس ، ومن الجنوب شواطىء البحر المتوسط Mediterranean Sea التي تمتد سواحله من مدينة طرسوس Tarsus ناحية الجنوب الغربي حتى مدينة الإسكندرونة في الجنوب الشرقي ، وتبلغ مساحتها ٤٠٠٠٠ كم ، بطول ٤٠٠كم من الشرق إلى الغرب ، وعرض ١٠٠كم من الشمال إلى الجنوب [٨] . تعرف الأرمن على هذا الإقليم منذ بدايات التاريخ الميلادي ، وعاش بعض منهم به ، كما عاشوا في ملطية Melitene والرها Edessa وأنطاكية Antioch، واستغلوا فرصة الصراع بين البيزنطيين والسلاجقة لتدعيم مركزهم في كليكية على حساب القوتين معا [٩] ، وظلوا هكذا حتى غزو البيزنطيين ومن بعدهم السلاجقة لوطنهم الكبير ، وسقوط العاصمة آنى Ani [١٠] في أيدي السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان (٤٥٥- ٤٦٥هـ / ١٠٦٣- ١٠٧٢م) عام ٤٥٦هـ / ١٠٦٥م .[١١]

---

(٦) استارجيان ، ك. ل. : تاريخ الأمة الأرمينية ، الموصل : مطبعة الاتحاد الجديدة ، ١٩٥١ ، ص ٤٦.
للمزيد من التفاصيل عن استقرار الأرمن في هذا الإقليم راجع:
استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ٤٩ – ٦٥.

(٧) مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار نوبل ، ١٩٨٠ ، ص ٦٨- ٦٩ .؛
استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ٤٤-٤٥ .

(٨)Ainsworth, W.F., Travels And Reaserches In Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea And Armenia, ٢vol., vol.١ ,London , ١٨٤٢, p٢٢٥.;
استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢٠٣- ٢٠٤. ؛ مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢٢٣.

(٩) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ص ٥٨.

(١٠) آنى : هي عاصمة أرمينيا الكبرى ، وصفها ابن الأثير بأنها مدينة حصينة ، شديدة الامتناع ، لا ترام ، يحيط بها نهر أراكس من ثلاثة جهات ، والطريق إليها مرصوف بحجارة كبيرة مصمتة ، وهي بلد كبير ينتشر فيه العمران ، ويكثر بها المزارع ، يسكنها عدد كبير من الأرمن ، وبها خمسمائة كنيسة .
ابن الأثير(ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤م) عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بابن الأثير: الكامل في التاريخ ، المعتنى به أبو صهيب الكرمي ، ١٢ جزء في مجلد واحد ، الأردن : بيت الأفكار الدولية ، د.ت. ، ص.١٤٧١

(١١)Matthew Of Edessa Chronical, trans.By Robert Bedrosaian , Sources of the Armenian Tradition Series, New Jersey, ٢٠١٧, p ١٤٦- ١٤٧ . ;

وبعد هزيمة البيزنطيين وإمبراطورهم رومانوس الرابع Romanus IV [١٢] (١٠٦٨-١٠٧١م) الملقب ديوجناتيس على يد السلاجقة في موقعة مانزكرت Manzikert بالقرب من بحيرة وان الأرمينية عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م [١٣]، انفتح الطريق أمام السلاجقة للتوغل في عمق آسيا الصغرى ، واستولوا على أملاك البيزنطيين في أرمينيا الكبرى ، وقضوا على حكم الأسرة الباكراتية . [١٤]

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ص.١٤٧١

(١٢) رومانوس الرابع : إمبراطور بيزنطي : قائد عسكري بيزنطي ، تزوج من يودوكيا مكرمبوليتسا أرملة الإمبراطور قنسطنطين العاشر ، وتوج إمبراطورا عام ١٠٦٨م ، شن ثلاث حملات على السلاجقة كان آخرها حملته عام ١٠٧١م التي تلقى فيها هزيمة ساحقة في موقعة مانزكرت ، و في العام نفسه نجح النورمان في الاستيلاء على مدينة بارى بإيطاليا ، قامت ثورة عليه في القسطنطينية وقبضوا عليه وسملوا عينيه وما لبث أن مات في السجن عام ١٠٧٢م ، وقام الشعب بعزله وتولية ميخائيل السابع ابن قنسطنطين العاشر إمبراطورا .

راجع :

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص .١٤٧١ ؛ محمود سعيد عمران : الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، بيروت : دار النهضة العربية ، ٢٠٠٢، ص ٢٤٣- ٢٤٩ . ؛ السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٨٣١ وما بعدها . ؛ محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣، ص ٣١٢ – ٣١٥ . ؛ جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ - ١٤٥٣م ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٠١ – ٢٠٣.

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ص.١٤٧١

(١٣)Matthew Of Edessa Chronical, pp ١٩٨-٢٠٢.

مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ترجمة وتحقيق الأب البير أبونا ، الجزء الثاني ، بغداد : مكتبة النور ، ١٩٨٦ ، ص ٦٤ – ٦٥ . ؛ ابن العبري (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي : تاريخ مختصر الدول ، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي ، الطبعة الثانية ، لبنان : دار الرائد اللبناني ، ١٩٩٤ ، ٣٢٢-٣٢٣. ؛ ابن القلانسي (٥٥٥هـ /١١٦٠م) ابو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد : تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط بن الجوزي والحافظ الذهبي ، القاهرة : مكتبة المتنبي ، ١٩٩٧، ص ٩٩. ؛ ابن الأثير : ص.١٤٧٨ -١٤٧٧

قامت موقعة مانزكرت بين الإمبراطور رومانوس الرابع ضد السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، سلطان سلاجقة الروم ، في أثناء الحملة الرابعة لهذا الإمبراطور على السلاجقة ، وقام بالهجوم على إقليم أرزن الروم ، ووصل حتى اختار مدينة مانزكرت لتكون ميدان للمعركة ، وتكونت القوات البيزنطية من عدد ستين ألف جندي ، ويتكون من أمم كثيرة من البيزنطيين والكرج والغربيين والروس والبجناق في مقابل خمسة عشر ألف جندي من السلاجقة ، ولحقت الهزيمة بالبيزنطيين ، ووقع الإمبراطور أسيرا ، وجرت المفاوضات وتم الصلح على شروط افتداء الإمبراطور بمبلغ كبير يبلغ ألف ألف دينار ، وإطلاق أسرى المسلمين ، وأن تقدم بيزنطة جنودها لمساعدة السلاجقة في الحروب ، وتكون مدة الهدنة بينهما خمسين سنة .

راجع : محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي) ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١، ص ٢٤٥- ٢٤٩. ، محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣١٣ – ٣١٤ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، جزءان ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦، ج ١ ، ص ٦٩ – ٧٢.

(١٤) Matthew Of Edessa Chronical, pp ١٤٧- ١٤٨.

أما الأسرة الباكراتية فقد أسسها الملك الأرميني أشود الأول عام ٨٨٥م ، عندما انتصر على القائد الفارسي شهاب المتمرد على سلطة الخلافة العباسية ، وألحق به هزيمة كبيرة ، وكان نتائج هذا الانتصار أن تولى أشود ملك أرمينيا من الخليفة العباسي جعفر المتوكل بالله ، وجعل العاصمة مدينة باكاران على ضفة نهر أخوربان، واستمر حكم هذه الأسرة حتى كانت بداية سقوطها على يد البيزنطيين عام ١٠٤٥م حين هزموا الملك الأرميني كاكيك الثاني وقبضوا عليه وأرغموه على التنازل عن الحكم ، وفي عام ١٠٧١م سقط الملوك الباكراتيون عندما استولى السلاجقة على العاصمة الأرمينية آنى Ani ، وقتلوا الأمراء الباكرديين ، وهدموا المدن الأرمينية .

راجع :

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص.١٤٧١ ؛ استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٧٠ – ١٧١ ، ١٩٧ – ٢٠٠.

وهو ما جعل أمير أرميني يسمى روبين Ruben (١٠٨٠- ١٠٩٥م) يهرب إلى كليكيا ويتبعه هجرات كبيرة من شعبه الأرميني ، ويؤسس أسرة حاكمة أرمينية نسبت له وعرفت باسم الأسرة الروبينية [١٥] في عام ١٠٨٠م [١٦] . وظل يحكم حتى توفي عام ١٠٩٥م . [١٧]

وخلفه في الحكم ابنه قنسطنطين الأول Constantin I (١٠٩٥- ١١٠٠م) الذي اشتبك مع القوات البيزنطية في معارك عديدة واستطاع ضم عدة مدن وقلاع إلى مملكة الأرمن الجديدة وكان أهمها قلعة فاهكا [١٨] Fahkaaالتي كانت تتحكم في الطرق التجارية عبر كليكيا وشمال الشام ، وجنى منها موارد مالية كبيرة من رسوم وضرائب كان يفرضها على القوافل التجارية ، وسيطر على ممرات طرسوس وأصبح يتحكم في الطريق المؤدي من مدينة قيصرية [١٩]

(١٥) الأسرة الروبينية : بعد سقوط عاصمة أرمينية القديمة آنى في يد السلاجقة فى عام ١٠٧١م ، وهجرة الأرمن إلى إقليم كليكيا ، تأسست هذه الأسرة على يد الأمير روبين الأول عام ١٠٨٠م ، وضمت عدة مدن أهمها طرسوس وأدنة والمصيصة وعين ذربة و امتدت حدودها حتى إقليم كبادوكيا غربا في عصور ملوكها الأقوياء ، واستمرت حكمها حتى عهد الملك ليون الثاني الذي انتقل بنظام الحكم وجعله ملكيا وتوج ملكا على مملكة أرمينيا الصغرى عام ١١٩٩م ، واستمر حكم الأرمن لإقليم كليكيا حتى عهد ملكهم ليون السادس الذي حارب المماليك وتلقى هزيمة كبيرة منهم عام ١٣٧٥م ، ووقع في الأسر بالقاهرة فترة ثماني سنوات ، وبعدها أطلق سراحه وسافر إلى أوروبا وعاش في بلاط الملك الفرنسي .

راجع : Kurkjian, V.M., The Armenian Kingdom Of Cilicia, New York , ١٩١٩, p ١.;
مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢٢٢ ، ٢٤٤.

(١٦) مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢١٩- ٢٢١.

(١٧) استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢٠٤ – ٢٠٦.؛ مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢٢٤.

(١٨) قلعة فاهكا : تقع على مرتفعات طوروس ، في شمال شرق كليكيا وشمال مدينة سيس **Sis**، وكانت تمتلك تحصينات قوية ، وتتحكم في الطريق المؤدي إلى مدينة أدنة ، وكانت تتبع بيزنطة وبها قوة بيزنطية كبيرة لحمايتها ، استولى عليها الأمير قنسطنطين الأرميني فى عام ١٠٩٠م ، وصارت قاعدة الحكم في الأسرة الروبينية في بداية تأسيسها وتاريخها المبكر . ثم استعادها الإمبراطور يوحنا كومنين من الأرمن عام ١١٣٧م ، وبعدها استولى عليها السلاجقة بقيادة السلطان محمد بن غازي الدانشمند في عام ١١٣٩م ، واستطاع ثوروس الثاني الأرميني استعادتها للأرمن عام ١١٤٥م ، ونجح المماليك في السيطرة عليها قبيل سقوط مملكة كليكيا الأرمينية في أيديهم عام ١٣٧٥م.
Boase, T.S.R. , The History Of Kingdom, in book: The Cilician Kingdom Of Armenia , ed. By Boase, London , ١٩٧٨., p٣ , ٢٠.; Gazetteer, in book: The Cilician Kingdom Of Armenia, p ١٨٤.; Hewsen , R. H. , Armenia Maritima: The Historical Geography of Cilicia, in book : Historic Armenian Citices and Provinces, ed. By Hovannisian, U.S. A., ٢٠٠٨, vol. ٧, pp ٣٤, ٦٠.

(١٩) قيصرية كبادوكيا : هي عاصمة ولاية كبادوكيا الرومانية وأهم مدنها ، وتقع كبادوكيا في إقليم آسيا الصغرى وشرق هضبة الأناضول التي تحتل الجزء الأوسط من آسيا الصغرى ، وسيطر عليها الرومان عام ١٧م ، بعد أن كانت تخضع لنفوذهم منذ مائة عام ، وفي القرن الأول الميلادي اتسعت لتغطي مساحة ٤٠٠ كم طولا و نحو ١٠٠ كم عرضا ، أما عاصمتها قيصرية فكانت تسمى مازاكا أو ماشاكا ، ويقال إنها نسبت إلى ماشك Mosok ابن يافث ابن سيدنا نوح ،وتقع على الطريق التجاري القديم الذي يصل بين ميناء سينوب على البحر الأسود ويسير حتى الفرات ، وعلى الطريق الفارسي القديم الذي يمتد من مدينة ساردس Sardis حتى سيواس ، وحملت أهمية تجارية وسياسية كبيرة .
راجع :
Mogarth, D.G., The Near East, London, ١٩٠٥, pp ٣٧ – ٣٩ , ٩٥ .; Ramsay, W., The Historical Geography of Asia Minor, London , ١٨٩٠, pp ٣٠٣- ٣٠٤.

Ceasarea بكبادوكيا Cappadocia إلى مدينة عين زربة [٢٠] . وعاصر قنسطنطين هذا وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق ، وقام بمساعدة الصليبيين وإرشادهم في السير عبر الدروب الجبلية حتى بلغوا الرها وبلاد الشام ، وأمدوهم بالمؤن والاحتياجات الأساسية ، وساعدوهم في حصار مدينة أنطاكية . [٢١]

وجاء بعد قنسطنطين ابنه الأمير ثوروس الأول [٢٢] Thoros I (١١٠٠ – ١١٢٩م/ ٤٩٣– ٥٢٣هـ) ، وأقام في قلعة فاهكا ، ورفع راية العصيان على الإمبراطورية البيزنطية ، واستطاع توسيع رقعة مملكته فضم مدينة عينتاب Ayntab [٢٣] وجعل حدوده الشرقية حتى ولاية كبادوكيا [٢٤] وتوفي عام ١١٢٩م . [٢٥]

---

(٢٠)Matthew Of Edessa Chronical, p 256, 268- 269 .; Smbat Sparapet, Chronical, trans.By Robert Bedrosian, Sources of the Armenian Tradition Series , New Jersey, 2005, pp 101, 111.;

وراجع : 3 Boase, The History Of Kingdom, p.

أما مدينة عين زربة فهي من المدن المهمة في إقليم كليكيا ، وكانت عاصمة للإقليم ، وإحدى المدن التى سيطر عليها أمراء أسرة روبين عند تأسيسهم إمارة أرمينية الصغرى ، يصفها وليم الصوري بأنها كانت من المدن المزدحمة في عصره ، وعدها واحدة من أهم أربعة مدن في كليكيا والأخريات هى أدنة والمصيصة وطرسوس ، وفى موضع أخر من تاريخه أشار إليها وإلى طرسوس بأنهما أهم مدينتين في كليكا ، وازدادت شهرتها كثيرا حتى أطلق عليها كليكيا الثانية ، استولى عليها بوهيموند النورماني ، وتبعت إمارة أنطاكية في وقته ، وصارت أسقفية تتبع كنيسة صور ، أما أبو الفدا فيجعلها تقع بين مدينتي سيس وتل حمدون ، ويرى ياقوت الحموي أن التسمية أخذت من مكان مأوى الغنم ، وأنها كانت من مدن الثغور في عصره ، وتتبع مدينة المصيصة ، وسيطر عليها الخليفة هارون الرشيد وجدد عمارتها ، واهتم بها أبو سيف الحمداني وأنفق على عمارتها مبالغ كبيرة ثم استعادها البيزنطيون منه .

راجع : ياقوت الحموي (ت 626هـ / 1228) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : معجم البلدان ، 5 ج ، بيروت : دار صادر ، 1977 ، ج4، ص 177- 178. ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، 4 أجزاء ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1991- 1995، ج1 ، ص 235 . ؛ ج2، ص 21 . ؛ ج3 ، ص 110 ، 208 ، 222.

(٢١)Matthew Of Edessa Chronical, pp 268- 279 .; Smbat Sparapet, Chronical, p 101-102. ;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج1 ، ص 256 - 257. ؛ مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، 1958، ص. 55 - 54

(٢٢)Matthew Of Edessa Chronical, pp 268 .

(٢٣) عينتاب : وصفها ياقوت الحموي بأنها قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية ، وعرفت بدلوك ، وكانت من أعمال حلب في عصره ، وتبعت إمارة الرها ، واستردها نور الدين محمود من الصليبيين عام 547هـ / 1152م . بعد سقوط الإمارة بخمسة أعوام، وخضعت بعض الوقت إلى سلطة الأمراء الأرمن في أسرة روبين .

راجع : ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج4 ، ص 176. ؛ ابن الشحنة (815هـ / 1412م) الشيخ محب الدين أبي الوليد محمد بن محمد : روض المناظر في علم الأوائل والأواخر ، تحقيق سيد محمد مهنى ، بيروت : دار الكتب العلمية، 1997، ص 211 . ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج3 ،ص 339.

(٢٤)Matthew Of Edessa Chronical, pp 318 - 19 .; Smbat Sparapet, Chronical, pp 136-137.

(٢٥)Smbat Sparapet, Chronical, p 158.

ومن بعده تولى أخوه الأمير ليون الأول Leo I (١١٢٩-١١٣٦م/ ٥٢٣- ٥٣١هـ) الحكم في عام ١١٢٩م [٢٦]، ودخل في صراع ضد الأمير الصليبي ريموند أمير إمارة أنطاكية الصليبية، واستولى منه على أحد القلاع الأنطاكية الحصينة [٢٧] . وبعدها دخل في صراع أخر ضد البيزنطيين ، واستولى على عدة مدن كانت في حوزة بيزنطة في ذلك الوقت ، وهي أدنة Adna[٢٨] وطرسوسTarsus[٢٩] والمصيصة [٣٠] وعين زربة فى عام ١١٣٢م/ ٥٢٦هـ [٣١].

وفي عام ١١٣٧م قام الإمبراطور يوحنا كومنين بحملة كبيرة ضد الأرمن والصليبيين بأنطاكية ، وهاجم كليكيا وأوقع هزيمة كبيرة بأميرها الأرميني ، واسترد مدينتَيْ طرسوس وأدنة ، وهاجم قلعة فاهكا Vahka وحاصرها وسقطت بيده [٣٢] ، ثم سار حتى بلغ أنطاكية

(٢٦)Matthew Of Edessa Chronical, pp 268 .; Smbat Sparapet, Chronical, p 158.

(٢٧)Smbat Sparapet, Chronical, p 159.

(٢٨) أدنة : ويطلق عليها أذنة وأطنة ، بلد حصين من بلاد كليكيا ، تقع على نهر سيحان ، كانت من ثغور الشام ، حوله سور يتخلله ثمانية بوابات ، ويحيط به خندق ، وبداخلها حصن منيع ، اهتم الخلفاء العباسيون بعمارتها وبنى هارون الرشيد قصرًا بها . سقطت في يد الصليبيين عقب استيلائهم على طرسوس عام 1100م .

راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج1 ، ص 132- 133 . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج1 ، ص 196.

Ainsworth, W.F., Travels And Reaserches In Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea And Armenia, pp 84 – 86.

(٢٩) طرسوس : ويطلق عليها طرطوس ، وصفها الحموي بأنها بلد بالشام تشرف على البحر المتوسط ، وقريبة من قلعة المرقب . ويحدها شرقا مرتفعات طوروس ، وتبعد عن أدنة 40 كم ناحية الغرب ، وعندما سيطر الرومان على كليكيا جعلوها مركزًا لحاكم الإقليم . ولد بها بولس الرسول ، حيث عاشت بها جالية يهودية كبيرة ، سيطر عليها الصليبيون عام 1100م .

راجع : ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج4 ،ص 30 . ؛ فوشيه الشارترى: الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص 183.؛

Boase, Gazetteer, pp 182- 183.

(٣٠) المصيصة : مدينة في إقليم كليكيا ، يقال إن الذي بناها هو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح ، تقع على ضفة نهر جيحان بالقرب من مدينة طرسوس ، والمسافة بينها وبين ميناء الإسكندرونة 70كم تقريبا ، ويقع البحر المتوسط جنوبها ويبتعد عنها بمقدار 20 كم ، خضعت لسلطة الحيثيين ، واستولى عليها الرومان عام 64قبل الميلاد وجعلوها عاصمة إقليم كليكيا ، فتحها المسلمون عام 831م ، وهي من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم ، وتتصف بقوة تحصيناتها ، فهي مسورة بسور كبير يتخلله خمسة أبواب ، ويعلوه عدد من الأبراج ، وتكثر بها البساتين والمزارع ، وتشتهر بصناعة الفراء الجيد ، وتكثر بها الأسواق والتجار ، سيطر عليها تنكريد الصليبي في الحملة الصليبية الأولى ، وبعدها خضعت لسيطرة الأرمن في كليكيا حتى انتهت دولتهم بيد المماليك.

راجع : ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج4 ،ص 144 -145. ؛ الشريف الأدريسي (560هـ/ 1165م) أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، بيروت : دار الكتب العلمية 2020، ص 446. وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج1، ص 239 – 240. ؛ أكرم صباح حسون : مدينة المصيصة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي 656هـ/ 1258م دراسة في أحوالها العامة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 2020 ، ص 23 - 35 .

Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor, p 385.

(٣١)Smbat Sparapet, Chronical, p 158.

(٣٢)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 22.; Gregory the Priest, Chronical , p 368 . ; Smbat Sparapet, Chronical, p 159.;

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج3، ص 135. ؛ 258.

وحاصرها حتى طلب أميرها الصليبى ريموند أف بواتيه مفاوضة الإمبراطور ، وانتهت المفاوضات بإذعان الأمير الصليبي وأقسم أمام الإمبراطور بيمين الولاء والطاعة ، وتعهد بوضع المدينة وقلعتها تحت سلطته . (٣٣)

وبعد أن فرغ الإمبراطور من مشكلة أنطاكية عاد إلى الأرمن في عام ١١٣٧م / ٥٣٢هـ ، وواصل قتالهم ، ووجد ليون نفسه غير قادر على مواصلة القتال ضد الإمبراطور وسقط أسيرا في يده وتبعه ولداه روبان وثوروس وبناته و زوجته ، وأرسلوا جميعا إلى القسطنطينية في عام ١١٣٨م ، وتوفي ليون الأب في الحبس عام ١١٤٢م / ٥٣٦هـ ، ولحقه ابنه روبان (٣٤). وما لبث الإمبراطور يوحنا أن توفي عام ١١٤٣م / ٥٣٧هـ . (٣٥)

أما ثوروس الثاني Thoros II (١١٤٤- ١١٦٧م / ٥٣٩ – ٥٦٣هـ) فقد استغل الاضطرابات التي حدثت في بيزنطة عقب وفاة الإمبراطور يوحنا كومنين عام ١١٤٣م / ٥٣٧هـ ، واستطاع الهروب من الأسر البيزنطي متخفيا عام ١١٤٣م / ٥٣٦هـ ، ووصل إلى كليكيا وعمل على تجميع كبار الأمراء وكبار الشخصيات العامة ورجال الدين الأرمن ، وأعاد الاستيلاء على فاهكا . (٣٦)

كما سجل مصدر آخر أنه في أثناء وجوده فى القسطنطينية تعرف على إحدى الأميرات البيزنطيات وربطته بها علاقة قوية ، وقامت بدعمه بالمال وساعدته على الهروب والعودة إلى كليكيا ، وهناك كسب تعاطف رجال الدين ، واتحد مع أخيه ستيفانى ، وجمع الشباب الأرمينى وجنده وكون جيشًا قويًّا وقام باستعادة بعض المدن والقلاع (٣٧). ويضيف أحد المصادر أن ثوروس لجأ إلى البطريرك أثناسيوس الثامن السرياني Athanasius VIII (١١٣٨- ١١٦٧م / ٥٣٣- ٥٦٢هـ) الذي أمده ببعض الرجال الأشداء ، وعمل على استرداد مملكة الأرمن في كليكيا . (٣٨)

---

(٣٣)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p 24.; Gregory the Priest, Chronical , p 370. ; Smbat Sparapet, Chronical, p 159.;

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج3، ص 146- 147. ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص.258

(٣٤)Gregory the Priest, Chronical , p ٣٦٨ .; Smbat Sparapet, Chronical, p ١٥٩-١٦٠.; Vahram Of Edessa , Chronicale of The Armenian Kingdom In Cilicia , trans . by Neumann , C.F. , London , ١٨٣١, p ٣١- ٣٢.

(٣٥)Gregory the Priest, Chronical , p ٣٧٩ .; Smbat Sparapet, Chronical, p ١٦١.

(٣٦)Smbat Sparapet, Chronical, p ١٦٣.

(٣٧)Vahram Of Edessa , Chronicale, pp ٣٤- ٣٥.

(٣٨) Michel Le Syrien, Chronique, tom. III, trans. by Chabot, J.B.,٣ Tom, Paris ,١٩٠٥, p ٢٨١. ; Samuel d Ani, hronographie, tom , ١ ,R. H. C. Doc. Arm, tom.١ , paris, ١٨٦٩, pp ٤٥٢- ٤٥٣.

ولأن ثوروس كان قائدًا يمتلك مقدرة عسكرية كبيرة وشجاعة في الحروب [٣٩] ، فقد قام بتدبير خطة عسكرية للقضاء على النفوذ البيزنطي في كليكيا ، وبدأها بإرسال مبعوثيه سرا إلى العناصر الأرمينية الموالية له في الإقليم وأوعز إليهم بالقيام بالثورة ضد السلطات البيزنطية [٤٠]، ثم خطط لتصفية باقي القوات البيزنطية ، وأخذ يعمل على تنظيم جيش يحارب به الحاكم البيزنطي هناك ويسمى توماس Tumas ، وفي عام ١١٥١م / ٥٤٦هـ اشتبك في معارك عنيفة ضده ، وحقق انتصارات متوالية عليه ، وأوقعه في الأسر ، ودحر القوات البيزنطية ، ونجح في استعادة الاستيلاء على تل حمدون والمصيصة . [٤١]

ورأى الإمبراطور مانويل كومنين الوضع خطيرًا ، وأن دولته صارت مهددة من الناحية الجنوبية الغربية بأخطار عديدة منها خطر الأرمن وهو خطر مباشر ، ويبدو أنه خشيَ من حدوث تحالف بين قوى الأرمن والصليبيين والسلاجقة والزنكيين ضده ، وأيقن بضرورة القضاء على قوة الأرمن وإعادة النفوذ البيزنطي مرة أخرى في كليكيا . فقام بإرسال قائده أندرونيكوس كومنين Anddronicus Comnenus إلى كليكيا ورفقته جيش كبير ، وأسند إليه وظيفة حاكم الإقليم بعد توماس الذي وقع في أسر الأرمن ، كما كلفه بالتصدي لثوروس واسترداد المدن التي بسط نفوذه عليها . [٤٢]

وفي عام ١١٥٢م / ٥٤٧هـ وصل أندرونيكوس إلى كليكيا على رأس جيشه المكون من عدد اثني عشر ألف جندي بيزنطي حسب تقدير المؤرخين الأرمنين سمباد وجريجوري الكاهن[٤٣] ، عدا ما انضم إليه من القوات الأرمينية الصوري كليكيا الموالية للحكم البيزنطي [٤٤]. وزحفت هذه القوات نحو ثوروس وحاصرته في المصيصة ، وهدده بأنه سوف يصير أسيره ، ويضع الحديد في يديه ويعود به إلى القسطنطينية ليسجن فيها كما فعل البيزنطيون بأبيه ليون من قبله .[٤٥]

---

(٣٩) Gregory the Priest, Chronical , p ٣٩٩ . ; Smbat Sparapet, Chronical, p ١٦٣.

(٤٠)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٦.

(٤١) Gregory the Priest, Chronical , p ٣٩٩ . ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٦. ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٦٩.;
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٤٢٩.

(٤٢) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٦. ; Gregory the Priest, Chronical , p ٣٩٩. ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٦٩.;
وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٤٢٩.

(٤٣) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٦. ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٦٩.

(٤٤)Gregory the Priest, Chronical , p ٣٩٩ . ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٦٩.

(٤٥)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٨. ; Gregory the Priest, Chronical , p ٣٩٩ . ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٦٩.

وعندما اشتد الحصار على ثوروس دبر مكيدة للقوات البيزنطية ، اعتمدت على خروج فرق من الجيش الأرميني ليلا من ثغرة أحدثوها في موضع بسور المدينة يبتعد عن مناطق تمركز الجيش البيزنطي خارج السور ، وتخفت هذه الفرق الأرمينية تحت ستار الليل حتى بزغ أول أشعة من نور الفجر ثم انقضت مرة واحدة على أعدائها دون أن يتركوا لهم مهلة للاستيقاظ من نومهم أو حمل أسلحتهم وتنظيم صفوفهم ، وتمكنوا من قتل وأسر عدد كبير من القوات البيزنطية ، واستولوا على كثير من الأسلاب والغنائم .(٤٦)

وصرح ميخائيل السرياني أن بعض اليونانيين الذين لاقوا الهزيمة فروا عن طريق البحر ، وأن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف جندي بيزنطي، عدا الذين ذاقوا ربقة الأسر (٤٧). غير أن المؤرخ جريجوري الكاهن صرح بأن الجيش البيزنطي قتل بأكمله في ميدان المعركة (٤٨). وصرح المؤرخ البيزنطي جون كيناموس أن هزيمة البيزنطيين كانت كبيرة (٤٩). أما القائد البيزنطي أندرونيكوس فقد نجح في الفرار من ميدان المعركة بصعوبة بالغة ، وعاد إلى القسطنطينية يجر أذيال الخيبة والهزيمة (٥٠) ، وألقى اللوم على الأمراء الأرمينيين الذين انضموا له فى هذه الحرب، وراح ينسب أسباب الهزيمة إليهم .(٥١)

يلاحظ في رواية جريجوري الكاهن عن عدد القتلى البيزنطيين أنها أشارت إلى مقتل الجيش البيزنطي بأكمله ، وبهذا يختلف مع المؤرخ المعاصر ميخائيل السرياني الذي قدر عدد القتلى بنحو ثلاثة ألاف جندي فقط ، وأن عدد ليس بقليل سقط في الأسر ، كما يتفق ميخائيل السرياني وجون كيناموس مع سمباد الأرميني في سقوط أسرى بيزنطيين ، ونجاح البعض منهم في الفرار ، ويتفق الباحث مع تقدير ميخائيل السرياني في عدد القتلى ؛ هذا لأنه غير منطقي أن يقتل جيشٌ بأكمله في معركة مهما كانت خطورتها وقوتها . ويتضح منه أن جريجوري الكاهن أخطأ في روايته في تقدير عدد القتلى البيزنطيين ، ولا سيما أنه لا يوجد مصدر آخر يتفق معه في تقديره هذا ، وأنه كان يقصد من تقديره أن يشير إلى عدد الجيش البيزنطي وليس عدد قتلاه في هذه المعركة . ولأنه أرميني من جنس ثوروس أراد أن يمجد ويعظم الانتصار الذي حققه

---

(٤٦)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٠ . ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٦٩- ١٧٠ . ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٨. ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

(٤٧)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

(٤٨)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٠.

(٤٩)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٨.

(٥٠)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٨- ٩٩ . ; Gregory the Priest, Chronical ,٤٠٠.

(٥١)Gregory the Priest, Chronical ,٤٠٠.

بنو جنسه فأخذ يبالغ في تضخيمه. ولكن جريجوري الكاهن يتفق مع المؤرخين المعاصرين الآخرين فيما ذكره وصوره من مظاهر الهزيمة التي حلت بالبيزنطيين ، وهذا يدل على تعرض القوات البيزنطية إلى هزيمة ثقيلة في هذه المعركة، حتى إن المؤرخ البيزنطي جون كيناموس اعترف بذلك ، وهذا على الرغم مما عرف عن هذا المؤرخ من تعصبه لبني جنسه من البيزنطيين ، وكثرة مدحه لأباطرتهم . كما اتضح عدم الكفاية العسكرية للقائد البيزنطي ، وعدم معرفته بالفنون القتالية معرفة كافية لأن ثوروس استغل ضعف أندرونيكوس وأوقعه في شراكه.

وكان من أهم نتائج هذا النصر أن ثوروس نجح في السيطرة على قسم كبير من الأراضي في ولاية كليكيا [٥٢]، وضمن ولاء بعض القادة الأرمن الذين انشقوا عليه قبلا وحاربوا في جانب البيزنطيين . [٥٣] كما أن ما حصل عليه ثوروس من ثروات مادية كبيرة من المعسكر البيزنطي ، كان فى حاجة إليه وهو يقوم بتوطيد نفوذه هناك ، وفي إعادة تأسيس مملكة أرمينيا الصغرى . وبهذا ضاع النفوذ البيزنطي في جانب كبير من حدوده الجنوبية في أرمينيا وكليكيا وبلاد الشام، حيث سيطر الأرمن على كليكيا، وسيطر نور الدين محمود على كثير من مدن الرها ، وامتد نفوذ السلاجقة حتى وسط آسيا الصغرى وحددوا جانبها الغربي.

ولم يكن كل ما مضى من السياسة العدائية لبيزنطة ضد الأرمن في وطنهم الكبير شرق الأناضول أو في وطنهم الثاني بإقليم كليكيا كافيا، أو ليقف عند هذا الحد ، بل استمر الإمبراطور مانويل يعمل على توجيه الجيوش ضد أميرهم ثوروس في كليكيا ، و في هذه المرة أخذ يستعين بقوى أخرى لضربهم وهي قوة السلاجقة وأخذ يتقرب إلى السلطان مسعود (٥١٠ – ٥٥٠هـ / ١١١٦- ١١٥٥م) وعرض عليه الأموال والذهب والهدايا ، وحرضه على مهاجمة الأمير الأرميني ، ووافق السلطان السلجوقى على العرض والقيام بهذه المهمة [٥٤] ، ومما شجعه عليها أن ثوروس نحو هذا الوقت وفي عام ١١٥٣م / ٥٤٨هـ قام بمهاجمة كبادوكيا وعاد منها محملا بالكثير من الأسرى والمغانم [٥٥] ، كما قام بمهاجمة ملطية وكانت هي الأخرى من أملاك السلاجقة . [٥٦]

ولعل الأمير ثوروس الأرميني كان يطمع في ضم إقليم كبادوكيا إليه باعتباره أحد الأقاليم المهمة من آسيا الصغرى التي يتواجد بها الأرمن بكثرة ، وخاصة بعد أن نجح السلاجقة في

---

(٥٢)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

(٥٣)Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٠. ; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٩٨- ٩٩ . ; Gregory the Priest, Chronical ,٤٠٠.

(٥٤)Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٠. ; Gregory the Priest, Chronical ,٤٠٠ .

(٥٥)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

(٥٦) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ١٩٥ .

الاستيلاء على أراضيهم ومدنهم في وطنهم الكبير جنوب البحر الأسود ، وقيام الأباطرة البيزنطيين بتشجع الأرمن في التنقل إلى الأناضول وكبادوكيا لتصير موطنا ثانيا لهم قبل أن يرتحلوا إلى إقليم كليكيا ويؤسسوا به مملكتهم الجديدة . ويتضح من هذا كله أنه كان للأمير ثوروس سياسة توسعية تقتضي بسط حدود مملكته الجديدة على حساب البيزنطيين والسلاجقة معا، واتجه نظره ناحية الشرق حتى كبادوكيا ومدينتها قيصرية وقام بمهاجمتها ، وناحية الغرب حتى الأراضي التي تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات مثل ملطية وسميساط ومنبج وغيرها وتعددت منازلاته لها ، وشمالا حتى الضفة الجنوبية لنهر الهاليس ، ويبقى البحر المتوسط حدا جنوبيا لمملكته .

وبالفعل قام السلطان مسعود بتجهيز جيشه وتنظيمه ، وفي عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م سار به في طريق كليكيا ، وعندما علم ثوروس بتقدم القوات السلجوقية نحوه لم ينتظر قدومهم إليه داخل حدود مملكته ، بل جمع جيشه على وجه السرعة وخرج به لملاقاة السلاجقة قبل أن يعبروا إلى حدوده ، وقام بتوزيع قواته النظامية على الطرق الرئيسية ، ونصب الكمائن في المرتفعات الجبلية المحيطة ، وعند محاولة القوات السلجوقية عبور الممرات الجبلية أخذ رجال الكمائن من الأرمن يتصيدون الجنود السلاجقة ، وأوقعوا بعضهم قتلى ، وأجبروا باقي جيش الأعداء على التراجع والعودة إلى بلادهم .[٥٧]

تلك كانت رواية المؤرخ ميخائيل السرياني عن هذه المعركة ، أما رواية المصادر الأرمينية فقد اتفقت على أن السلطان مسعود عندما تقدم بجيشه حتى وصل ممرات كليكيا، أخذته المفاجأة ودهش من بسالة القوات الأرمينية بقيادة ثوروس التي خرجت على عجل إلى خارج حدودها لملاقاته ومحاربته قبل أن يعبر إلى داخل مملكتهم ، وخشي قوتهم وبأسهم ، واضطر إلى مهادنتهم ، واختار طريق السلم بدلا عن الحرب ، وأرسل المبعوثين يخبرونهم أنه لا يفضل دخول حرب ضدهم ولا يقصد تخريب كليكيا ومدنهم ، ولكنه يدعوهم إلى إعادة المدن التي استولى عليها ثوروس حديثا من الإمبراطور مانويل ، ويطالب باعتراف الأرمن بسلطة السلطان مسعود عليهم ، أما الجانب الأرميني فقد عظم موقف السلطان مسعود الذي أتضح منه نبذه للحرب وترجيحه للسلم ، واحترامه للأمير ثوروس ، ووافق على الاعتراف بسلطة السلاجقة عن رضاء وطيب خاطر، ولكنه رفض تسليم المدن البيزنطية ، ووافق مسعود على ذلك ،

(٥٧)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

وعقدت معاهدة صلح وتعاون بين الطرفين ، وأقسما على احترام بنودها ، ثم عاد الجيش السلجوقى إلي بلاده سالما دون خوض الحرب .[٥٨]

عند مقابلة رواية ميخائيل السرياني بروايتي المصدرين الأرمينيين يتضح ثمة اختلاف بينهما ؛ فبينما قررت الرواية السريانية أن السلاجقة خشوا مهاجمة الأرمن وتعرضوا لأخطار الكمائن التي نفذوها ضدهم ، وهو السبب الذي أجبرهم على الانسحاب والعودة إلى بلادهم في ملطية ، نجد الروايتين الأرمينيتين تتفقان على أن السلطان مسعود اختار أن يسلك مع الأرمن طريق السلم وليس الحرب ، وعقد معاهدة صلح معهم ثم عاد إلى بلاده . وإن كان في ظاهر هذه الروايات ما يُرى من تناقض .

لكن الباحث له رأي آخر وهو أن هذه الروايات التاريخية لا تحمل تناقضًا بقدر ما تحمله من تكامل واتصال لسير الأحداث التاريخية في مسلكها الصحيح ، وأن ما أورده ميخائيل السرياني في روايته صحيح ، وذلك لأسباب أهمها سعة معارف هذا المؤرخ المعاصر ودرايته بكل ما يكتبه من أحداث ومواقف تاريخية على اختلاف أنواعها سياسية أو عسكرية أو دينية أو قانونية ، وهذا ما يلاحظه الباحثون المدققون في موسوعته التاريخية هذه ، يضاف إلى ذلك معاصرته للأحداث التي يكتب عنها ، ومعايشته للأرمن في كليكيا ، لأنه ولد في ملطية عام ١١٢٢م ، وتنقل بين العديد من مدن الإقليم والأقاليم المحيطة به . وبصفته رجل دين ذا منصب ديني كبير، فقد كان رئيس أساقفة على أنطاكية ، لذلك كان قريبا من شهود عيان كثيرين ولديه المقدرة على جمع المواد التاريخية وتدقيقها وتمحيصا واستخلاص الصحيح منها واستبعاد الغث، وهو ما تقتضيه الأمانة العلمية لهذا المؤرخ ، كما أن ما ذكره من أحداث يتفق وطبيعة شعب الأرمن وقواتهم العسكرية ، ويتفق مع طبيعة البلاد التي عاشوا فيها سواء في وطنهم الأول التي تحيط به جبال بنطس من الشمال أو جبال أرمينيا من الشرق وجبال طوروس ، أو موطنهم الثاني فى كليكيا الذي تحده الجبال ، وهو ما جعلهم ماهرين في الحرب على المرتفعات ، و في حروب الكمائن والعصابات ، وكل هذا يؤكد صحة الرواية السريانية .

كما أن الباحث يرى أن الروايتين الأرمينيتين صحيحتان، ويدعم هذا اتفاقهما في سرد أحداثهما ، و هذا يؤكد أن صاحبيهما من جنس الأرمن، وهما من المؤرخين الأرمن المعتبرين ، ويتصفان بالنزاهة وتحري الدقة غالبا في تأريخهما للأحداث ، ويتفرد كلٌّ منهما بذكر أخبار تاريخية مهمة لم ترد في المصادر الأخرى في بعض الأحيان ، لذلك لا نستطيع إغفال روايتهما ، أو المرور عليها سريعا دون تمهل وتركيز وتحليل ، ومن خلال مقارنة روايتهما بغيرهما من

(٥٨)Gregory the Priest, Chronical ,٤٠١-٤٠٢ . ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٠- ١٧١.

المصادر الأخرى نرى أنهما يتفقان مع ما أورده ميخائيل السرياني من أن تكتيكات الأرمن وسياستهم الحربية التي اعتمدت على استخدام الجيش المنظم إلى جانب فرق الكمائن الجبلية ، وشجاعتهم وإقدامهم على الدخول في الحرب ضد الجيش السلجوقي الذي يفوقهم عددا ، عمل على إدخال الدهشة والرهبة في نفس السلطان مسعود ، وجعله يخشى الاشتباك في حرب ضدهم ، كما دعم هذا التحول في موقفه واختيار السلم ونبذ الحرب تعرضُ جنوده للأخطار من الكمائن الأرمينية فوق المرتفعات ، ومن هذا يتضح أن الروايات الأرمينية تتفق مع الرواية السريانية وتضيف لها حتى يكتمل أحداثها وتبرز ملامحها واضحة .

ويبدو أن السلطان مسعود انسحب وعاد إلى بلاده على مضض ، ومما يؤكد هذا ما أشار إليه المؤرخ ميخائيل السرياني بعد سرده لهذا الحدث التاريخي أنه أتبعه بأن السلاجقة حكام كبادوكيا أصدروا مرسومًا يقضي بهدم الكنائس هناك ، وأنزلوا العذاب برجال الدين [٥٩] . كما سنرى السلطان مسعود بعد عام واحد من انسحابه وعقده لمعاهدة الصداقة يقوم بحملة ثانية على ثوروس دون اعتبار للمعاهدة التي قطعها العام الماضي معه.

ومن هذا يتضح عدم احترام السلطان السلجوقي للعهود والمواثيق التي يقطعها على نفسه ، ولعله كان يعتبرها من الخدع الحربية والسياسية ووسيلة للمناورات العسكرية على العدو طمعا في كسب أراض جديدة أو توسيع نفوذ أو تحصيل مكاسب مادية ومالية . كما يتضح من هذا أن استجابة السلطان مسعود لنداءات الحرب كانت دوافعها رغبته في الحصول على مقدرات أكبر من الأموال والذهب والهدايا ، وأن مسعود لديه جيش كبير وجنود مهرة وأكفاء في الحروب ، ولديهم خبرة في المعارك على الأراضي السهلية والأراضي المرتفعة التي تتصف بوعورة تضاريسها ، وذلك لأنهم يسيطرون بنفوذهم على أقاليم واسعة من آسيا الصغرى يتخللها السهول والجبال .

ومن الواضح أن الإمبراطور البيزنطي شعر بذلك ، وأدرك رغبة السلطان في تحصيل الأموال ، وأن دافعه إلى الحرب يتمثل في الاستزادة منها ، فقام بمحاولة ثانية لدفعه إلى حرب الأرمن ، وفي هذه المرة أجزل له العطاء وأمده بكميات مضاعفة من الأموال والهدايا الثمينة ومقادير كبيرة من الذهب والفضة ، لعله يجني خيرًا من وراء ذلك ، ويكون هذا دافعا قويا له على الحرب والقضاء على قوة ثوروس ، وإنزال النكبات والمصائب بشعبه ، وحرق مدنه وقلاعه وكل شيء فى مملكته . [٦٠]

---

(٥٩) Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

(٦٠) Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧١ . ; Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٢ . ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٠.

وصدقت ظنون الإمبراطور فى السلطان الذي فرح بهذه الثروات الكبيرة التي أتحفه بها ، ووافق على مهاجمة الأرمن في كليكيا للمرة الثانية في أقل من عام ، وأخذ يعد جيشا كبيرا، ويكثر من الفرق العسكرية ويمدهم بأسلحة وفيرة ومؤن تكفيهم لخوض الحرب .[٦١] وفي ربيع عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ، خرج على رأس جيشه متجها نحو كليكيا ، واستطاع دخولها عبر الممرات الجبلية في غفلة من أهلها ، وتقدم فيها حتى وصل قبالة أسوار المصيصة وألقى الحصار عليها ، ولكنه لم يستطع اقتحامها [٦٢] ، ثم تقدم حتى بلغ أسوار عين زربة ، وفشل في اقتحامها [٦٣] ، وانسحب من هناك وتحرك حتى وقف أمام أسوار تل حمدون وكان يأمل اقتحامها سريعا [٦٤]، ومن موقعه هذا أرسل جيشا انفرد المؤرخ جريجوري الكاهن بذكر عدد جنوده وصرح أنه مكون من ثلاثة ألاف جندي [٦٥] ، وكانت مهمته التوغل جنوبا باتجاه إمارة أنطاكية ، ووضعه تحت قيادة أحد قادته العسكريين ويسمى يعقوب ، وسار هذا الجيش بخطى سريعة ، وعند عبوره من أحد الممرات التي تصل كليكيا بأنطاكية انقض عليه جيش أرميني بقيادة ستيفاني أخي ثوروس ويعاونه عدد كبير من الفرسان الداوية الذين يسيطرون على قلعة غاستون ، وهجموا على الجيش السلجوقي وأنزلوا به هزيمة كبيرة وقتلوا قائده يعقوب [٦٦]. ويقرر المؤرخون الأرمينيون أن أخبار هذه الهزيمة المروعة بلغت إلى مسامع الجيش السلجوقي المحاصر لمدينة تل حمدون فأصابته بالخوف الشديد والفزع ، وخشي من ضراوة وخطورة القوات الأرمينية .[٦٧]

وأضافت المصادر حدوث بعض الكوارث الطبيعية التي أصابت الجيش السلجوقي المحاصر لمدينة تل حمدون، وهي انتشار المرض الذى أصاب خيولهم وأعجزها عن الحركة وقتل الكثير منهم ، كما أصيب الكثير من الجنود بالأمراض والطواعين التي تفشت بينهم وماتوا ، وما تبقى على قيد الحياة منهم أقل عدد ممن رحلوا عنها ، وتغيرت أحوال المُناخ ، وحدث هجوم من البعوض والحشرات على الجنود وأصيبوا إصابات خطيرة ، وتحللت جثث الموتى منهم وانبعث منها الروائح الكريهة ، وتسببت في تلوث الهواء ، وعزم ما تبقى منهم على الانسحاب تاركين أسلحتهم ومتاعهم ورائهم غنيمة باردة للأرمن ، ولاذ قادة الجيش بالهروب

(٦١)Smbat Sparapet, Chronical,p ١٧١,٣١١.;Gregory the Priest, Chronical p ٤٠٢ .
(٦٢)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٢ .
(٦٣)Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧١ . ; Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٢ .
(٦٤)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٢ . ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١١ .; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧١ .
(٦٥)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٢ .
(٦٦)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٢- ٤٠٣ .; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧١ .
(٦٧)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٣ .; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧١ .

ولحقهم ما تبقى حيا من الجنود سيرا على الأقدام ، وتعثروا في سيرهم وبعضهم سار في المستنقعات الموحلة دون أن يدركوا طريقا للنجاة ، والبعض الآخر هام على وجهه وتفرق بين الشعاب والجبال ونجا منهم من أتاه الحظ بالنجاة ومات الباقون . أما الأرمن فقد زحفوا ورائهم وقتلوا عددًا كبيرًا منهم .(٦٨)

هكذا انتهت هذه الحملة العسكرية الثانية للسلطان مسعود على الأرمن في أقليم كليكيا ، وقد أصابتهم هزيمة كبيرة ساعد في حدوثها شجاعة الجنود والشعب الأرميني وبسالتهم في تحمل شدة حصار السلاجقة لهم ، وحصولهم على المساعدة من فرسان جماعة الداوية ، ومساعدة أخرى من الظروف الطبيعية التي تغيرت فجأة . وأدرك الإمبراطور مانويل عدم الجدوى في الاعتماد على السلطان مسعود ليحارب به الأرمن ، وأخذ يبحث عن حليف آخر يستطيع محاربة الأرمن وهزيمتهم .

ولم تقف سياسة الإمبراطور مانويل العدائية ضد الأمير ثوروس الأرميني وشعبه في كليكيا عند هذا الحد ، وبعد بحثه عن حليف جديد يضرب به ثوروس وجد ضالته في الكونت رينو دي شاتيون أمير أنطاكية الجديد ، وأرسل مبعوثيه إلى أنطاكية وأيديهم مليئة بالوعود والتعهدات يقدمونها إلى الأمير الأنطاكي ، ويقطعون العهد باسم الإمبراطور على منحه الأموال الكثيرة مكافأة له عن الأعمال التي سيقوم بها ضد ثوروس ، واستقبل رينو كل هذه الوعود بالفرح والبهجة ، وحركته أطماعه فى تحصيل الأموال ووافق على هذا المشروع (٦٩). ويبدو أن مبعوث الإمبراطور قدم وعدًا آخر للأمير رينو يقضي باعتراف الإمبراطور به سيدا على أنطاكية ، وكان يأمل ذلك ويتطلع إليه بعد الزواج من الأميرة كونستانس أرملة ريموند الثالث وتقلده أمر أنطاكية .

أخذ رينو يبحث عن سبب يستند عليه في الحرب التي يزمع القيام بها حتى تلقى حملته قبولا لدى الأوساط الصليبية ، ولا يقف أحد لمعارضته ، ووجد ضالته في قلعة جاستون التي استولى عليها ثوروس منذ بضع سنوات ، وطالبه بإعادتها لجماعة الداوية لأنهم كانت في حوزتهم ، لكنه رفض (٧٠) ، وبالفعل تحرك رينو على وجه السرعة وأعد جيشه ودعمه بالفرسان وخرج في حملته عام ١١٥٥م/٥٥١هـ واتجه نحو الشمال حيث التقى بالجيش الأرميني بالقرب من مدينة الإسكندرونة ، واشتبك الجيشان في معارك حامية انتهت بهزيمة

---

(٦٨)Gregory the Priest, Chronical , p ٤٠٣ . ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١١ .; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٢ .

(٦٩) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٤٠١ - ٤٠٢.

(٧٠)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٤.

الأرمن و انتصار الصليبيين ، وانسحب الأمير ثوروس من ميدان المعركة برفقة ما تبقى من جيشه ، ودخل إقليمه كليكيا .(٧١)

مما سبق يتضح أن دوافع الأمير ثوروس الثاني التي جعلته يشترك في الحملة على جزيرة قبرص تتمثل في تلك السياسة العدائية التي تمسك بها الأباطرة البيزنطيون في علاقاتهم مع الأرمن وهي سياسة اتبعها البيزنطيين منذ تاريخ مبكر في الوقت الذي كان الأرمن يعيشون فيه في وطنهم الأول ، حيث كانوا يوجهون قادتهم وجيوشهم لمهاجمة المدن الأرمينية هناك ، واستمرت هذه السياسة تسير على النهج نفسه في عهد يوحنا كومنين الذي أوقع ليون وزوجته وابنيه ومنهما ثوروس هذا في الأسر وحبسهم فى القسطنطينية ، حتى مات الأب ، كما سار مانويل كومنين على السياسة نفسها ؛ وأراد القضاء على الأرمن في كليكيا وإعادة الأقليم إلى السيطرة البيزنطية ، ودفع السلاجقة بقيادة السلطان مسعود بتوجيه حملتين ضد ثوروس ، ثم حرض الأمير رينو دي شاتيون للقيام بحملة كبيرة ضد الأمير الأرميني .

أما دوافع الأمير رينالد دي شاتيون في القيام بالحملة على قبرص فنتعرف عليها عند البحث في العلاقة بين إمارة أنطاكية الصليبية والإمبراطورية البيزنطية . وعند النظر إلى جذورها الحقيقية السابقة على تولي رينو إمارة أنطاكية . وتقرر المصادر التاريخية أن أنطاكية كانت من أملاك الإمبراطورية البيزنطية قبل قدوم الصليبيين إلى الشام حتى عام ٤٧٧هـ/١٠٨٥م ، ذلك التاريخ الذي سقطت فيه هذه المدينة في يد السلاجقة وقائدهم سليمان بن قتلمش سلطان قونية (١٠٧٧- ١٨٦م) .(٧٢)

وبعدها أنتقال حكم المدينة إلى الأمير السلجوقي ياغي سيان (١٠٩٠ - ١٠٩٨م) وهو ابن السلطان محمد بن السلطان ألب أرسلان (١٠٦٣- ١٠٧٢م) ابن طغرل مؤسس دولة السلاجقة ، وذلك عندما عينه السلطان ملكشاه (١٠٧٢- ١٠٩٢) ابن ألب أرسلان حاكما عليها في عام ١٠٩٠م / ٤٨٢هـ ، وبعده تولى تتش بن ألب أرسلان وأخي السلطان ملكشاه سلطنة دمشق وأسس دولة سلاجقة الشام ، وقام بحملة على السلطان سليمان بن قتلمش وهزمه وقتله وأخذ أنطاكية منه ، وأقر ياغي سيان على حكمها وأضاف إليه مدينتي منبج وتل باشر .(٧٣)

---

(٧١) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٤٠٢.

(٧٢)Matthew Of Edessa Chronical, p ٢٢٣.;
آنا كومنينا : الكسياد ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، الطبعة الثانية ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٥٤. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٦٦. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٤٩٦.

(٧٣)Matthew Of Edessa Chronical, p ٢٣١, ٢٣٤ , ٢٤٨ .;
فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥- ١١٢٧م ، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠١، ص ١١٠ . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج١ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨. ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٢. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٥١٨.

ثم جاءت الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق ، وتوجهت جيوشها إلى القسطنطينية وأقسم أمراؤها يمين الطاعة والولاء للإمبراطور الكسيوس كومنين وقطعوا العهد على أنفسهم بإعادة ممتلكات بيزنطة إليها عند نجاحهم في ضرب السلاجقة . [٧٤] وتوجهت الجيوش الصليبية إلى أقاليم آسيا الصغرى ، حتى وصلوا أمام أسوار مدينة نيقية التي كانت تخضع لنفوذ السلطان قلج أرسلان ، ونجحوا في الاستيلاء عليها في ٢٠ يونيو ١٠٩٧م ، وتسلمها نواب الإمبراطور البيزنطي[٧٥] . ثم زحف الصليبيون إلى مدينة قونية التي اتخذها السلطان السلجوقي مركزا لحكمه بعد سقوط نيقية ، ووصلوها في منتصف أغسطس عام ١٠٩٧م فوجدوها خالية من قواتها العسكرية وسكانها ، حيث قام قلج أرسلان بالانسحاب منها وحمل كل أمتعتها وأموالها معه ، حتى لا يترك شيئا ذا قيمة بداخلها يحصل عليه الصليبيون [٧٦] . وبعد ذلك استولوا على هرقلة وقيصرية كبادوكيا ومرعش ، وسلموها لنواب الإمبراطور . [٧٧]

وفي عام ١٠٩٧م حدث تحالف بين تاودروس [٧٨]الحاكم البيزنطي لمدينة الرها مع الأمير الصليبي بلدوين دي بورج ، وعينه شريكا له في حكم الرها ليدفع عنه أخطار السلاجقة الذين

---

(٧٤)Matthew Of Edessa Chronical, p ٢٥٤.;
آنا كومنينا : الكسياد ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤٢٢- ٤٢٣. ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ١٧٤- ١٧٥ ، ١٨٦. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٤. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٥٣٢.

(٧٥)Matthew Of Edessa Chronical, pp ٢٥٥-٢٥٦.;
آنا كومنينا : الكسياد ، ص ٤٢١-٤٢٢. ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢١. ؛ فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ١٠٠ . ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٤.

(٧٦) فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ١٠٤ – ١٠٥ . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٣ -٢٣٤ ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٤. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٥٣٢ .

(٧٧) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٤٤ - ٤٦، ٤٨ . ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٤. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٤. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٤٩٦.

(٧٨) تاودروس : ينتمي للشعب الأرميني، حاكم الرها ، وتسميه بعض المصادر توروس أو ثوروس ، ليس هو الأمير الأرميني ثوروس الأول ، ابن قنسطنطين الأول ، وحفيد الأمير الأرميني روبين مؤسس حكم الأسرة الروبينية في كليكيا . وثوروس الأول الأرميني حكم بين عامي (١١٠٠ – ١١٢٩م/ ٤٩٣- ٥٢٣هـ) ، أما تاودروس فهو أمير أرميني من أتباع فيلاريتوس الأرميني. كان حكيما وعالما ، وقائدًا عسكريًا في الوقت نفسه ، تولى حكم الرها في ١٠٩٥م ، وعانى من تعدد هجوم السلاجقة عليها ، فقام بتحصين الرها وأعاد بناء أسوارها وأقام عليها الأبراج ، وبنى قلعة بها . وكان شيخا كبيرا ، ولم ينجب أبناء ، وعرض على بلدوين أن يصير ابنا له بالتبني فوافق .
راجع :
Matthew Of Edessa Chronical, pp ٢٤٨ - ٢٥١.; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, pp ١٧٣- ١٧٤, ١٨٧ . ; Smbat Sparapet , Chronical, p٩٧- ٩٩.;

سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٤٢. ؛ محمد محمد مرسي الشيخ : عصر الحروب الصليبية في الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦، ص ١٣٢- ١٣٣ .

كانوا يهاجمونه كثيرا [٧٩] ، وفي مارس عام ١٠٩٨م انفرد بحكم المدينة وأسس أول إمارة صليبية في الشرق. [٨٠] ثم اتجه الصليبيون إلى أنطاكية وقاموا بحصارها في أكتوبر عام ١٠٩٧م ، وظلوا سبعة أشهر على أسوارها حتى تمكنوا من اقتحامها عن طريق مؤامرة دبرها بوهيموند النورماني مع قائد أرميني يسمى نيروز، ادعى اعتناقه الإسلام ، وكسب ثقة الأمير ياغي سيان حاكمها حتى عهد إليه بحفظ برج كبير منها في أثناء حصار الصليبيين لها ، ونجحت المؤامرة واستولى الصليبيون عليها في ٣ يونيو ١٠٩٨م . [٨١] وتولى بوهيموند النورماني حكمها دون أن يسلمها إلى نواب الإمبراطور ، ولم يف بالقسم الذي قطعه على نفسه سابقا بتسليم بيزنطة كل أملاكها فى آسيا الصغرى التي يستولي عليها الصليبيون في حروبهم ضد السلاجقة [٨٢]. وبهذا يكون بوهيموند النورماني قد شق عصا الطاعة على بيزنطة ، ونظر إليه البيزنطيون كونه عدوًا لهم وليس صديقًا أو حليفًا .

ومن هنا تبرز جذور المشكلة بين الإمبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيين في أنطاكية. واتسمت العلاقة بينهما بالعداء . واستمر هذا العداء طويلا ، و في عام ١١٠٨م ، بعد هزيمة بوهيموند النورماني في حربه على أملاك الإمبراطورية البيزنطية وفشله في الاستيلاء

---

(٧٩)Matthew Of Edessa Chronical, p ٢٥٩.;
فوشيه الشارترى : الإستيطان الصليبى فى فلسطين ، ص ١٠٦ - ١٠٧ . ؛ وليم الصورى : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٥٩ - ٢٦١. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوى المجهول ، ص ٧٥.

(٨٠)Matthew Of Edessa Chronical, pp ٢٦٠ - ٢٦١. ;
فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ١٠٨ . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٥ - ٧٦.

(٨١) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٧٠ ؛. فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فى فلسطين ، ص١١٤- ١١٥ . ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٥٨- ٣٥٩. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٤. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٥٣٢ .
Matthew Of Edessa Chronical, p ٢٥٧ ff.

للمزيد من التفاصيل حول حصار الصليبيين لأنطاكية واستيلائهم عليها راجع :
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧٨ – ٣٦١. ؛ مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٤٨- ٧٠. ؛ فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ١٠٨- ١١٦. ؛
حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١- ١٢٦٨م / ٥٦٧- ٦٦٦هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩، ص ١١٤- ١٢٠. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٤٩ – ١٦١ . ؛ محمد محمد مرسي الشيخ : عصر الحروب الصليبية فى الشرق ، ص ١٣٤- ١٤٤.

(٨٢) فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ١٤٣ ، ١٤٩، ١٦٨ ، ١٩١ . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٣٨ . ؛ ج٢ ، ص ٣٨ ، ٢١٠. ؛ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ٧٨. ؛ مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ١٠٧ . ؛ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٥٣١- ١٥٣٢.
للمزيد من التفاصيل حول صراع الأمراء الصليبيين على حكم أنطاكية راجع :
حسين عطية ، أنطاكية ، ص ١٢٤- ١٢٦. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٦ وما بعدها.

على مدينة دورازو ، وإجباره على التوقيع معاهدة ديفول ١١٠٨م التي قضت بالاعتراف بسيادة بيزنطة على أنطاكية وما يقع في سلطانها من مدن وحصون [٨٣] . أما الأمير تنكرد Tancerd (١١٠٤-١١١٢م / ٤٩٧ – ٥٠٦هـ) الذي خلف بوهيموند على إمارة أنطاكية نهج السياسة نفسها التي سار عليها سلفه ، ورفض سيادة بيزنطة على الإمارة الصليبية . [٨٤]

وزاد الموقف حدة واشتعالًا قضية زواج الأميرة كونستانس القاصر ابنة بوهيموند الثاني أمير أنطاكية الصليبي (١١٢٦ – ١١٣٠م / ٥٢٠- ٥٢٤هـ) ، والأميرة أليس Alice ابنة الملك بلدوين الثاني Baldwin II (١١١٨ – ١١٣١م / ٥١١- ٥٢٥هـ) ، وقد ورثت هذه القاصر إمارة أنطاكية خلفا لأبيها الذي توفي عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ ، وطمعت والدتها في تولي الإمارة عوضا عنها ، وقامت بالاتصال بالسلطان عماد الدين زنكي ليساعدها في تحقيق هدفها ، وعلم الملك الصليبي بهذه الاتصالات ، وخشي من وقوع كارثة ، وتحرك بسرعة إلى أنطاكية ونجح في قطع اتصال ابنته بالسلطان زنكي ، وأخرجها من المدينة ، وعهد إليها بمدينتي اللاذقية [٨٥]Laodiceaوجبلة ، ووضع أمر أنطاكية في يد أعيانها . وعلى الرغم من ذلك فلم تقنع أليس وواصلت سياستها تجاه أنطاكية ، ولم ينقذ الموقف سوى " رالف " البطريرك الأنطاكي الصليبي ، الذي عقد قران كونستانس القاصر على الأمير ريموند أف بواتيه

(٨٣) راجع : آنا كومنينا : الكسياد ، ص ٥٣٠ ـ ٥٤٠. ؛ فوشيه الشارترى : الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ٢٠٩ . ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٢٧١.

(٨٤) آنا كومنينا : الكسياد ، ص ٥٥١ ـ ٥٥٢. ؛ فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ٢٠٩ . ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٢٧١.

(٨٥) مدينة اللاذقية : تمتلك موقع يتمتع بالحصانة الطبيعية ، فقد بنيت فوق هضبة صخرية تشرف على البحر ، وتحيط بها المياه من ثلاث جهات ، يحدها من الشمال جبل اللكام ، ومن الشرق جبل الأنصارية ، وتبتعد عن أنطاكية بنحو تسعين كيلو متر من ناحية الجنوب ، وتقع مدينة جبلة في جنوبها وتبتعد عنها عشرين كيلو متر ، ولها ميناء متسع تكثر به الخلجان ، وتحميه سلسلة حديدية كبيرة ، وهي محاطة بسور قوي يتخلله بوابتان إحداهما تقع في ناحية الشرق وتشرف على مدينة أفامية، والأخرى ناحية الشمال وتشرف على مدينة أنطاكية ، فوق كل منهما برجان ، وبداخلها برج كبير يطلق عليه برج البحر يحميها من ناحية البحر. سقطت في يد الصليبيين عام ١١٠٣م / ٤٩٦هـ .
للمزيد من التفاصيل عن موقع اللاذقية راجع :
ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبي (عاش فى القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) : صورة الأرض ، ٢ قسم في مجلد واحد ، بيروت : دار صادر ، ١٩٣٨، ج١ ، ص ٦٨ .؛ الاصطخري : أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف الكرخي(ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) : مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧.؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥- ٧ . ؛ الأنصاري الدمشقي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بغداد ، د.ن. ، ص ٢٠٩ .؛ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) تقويم البلدان ، طبع في باريس ، ١٨٤٠، ص ٢٥٧. ؛ ابن بطوطة : أبو عبد الله محمود بن عبد الله (٧٧٩- ١٣٧٧) رحلة بن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه محمد عبد المنعم العريان ، ٢ جزء ، بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٩٨٧ ، ج١ ، ص٩٧ ، ٢٩٠. ؛ كميل عزيز : لاذقية الشام ودورها في العصر الإسلامي (١٠٩٥ – ١٢٩١م / ٤٨٨ – ٦٩٠هـ) ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٨، ص ٥٧ – ٦٦.

Raymond of Boitiers ، في عام ١١٣٦ / ٥٢٦هـ ، وصار أميرا لأنطاكية (١١٣٦ – ١١٤٨م/ ٥٣٠ – ٥٤٤هـ) .[٨٦]

وقبل هذا الزواج اتصل بعض الأنطاكيين بالإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين ، وعرضوا عليه مشروع زواج ولي عهده مانويل بالأميرة كونستانس ، وكسب حمايته لإمارتهم ، ثم وجد الإمبراطور أن الأمر تغير وتزوجت الأميرة من ريموند أف بواتيه ، دون الرجوع إليه ، وأن حكم أنطاكية انتقل إلى ريموند أف بواتيه ، ورأى في ذلك تعديا على حقوقه وسلطاته في المدينة .[٨٧] وكان هذا سببا من الأسباب التي دفعته إلى القيام بحملة كبيرة على الشرق في عام ١١٣٧م ، وبعد أن هاجم الأرمن واسترد كثيرًا من مدن إقليم كليكيا ، واصل زحفه حتى وصل أنطاكية وحاصرها وضايقها كثيرا ؛ الأمر الذي جعل أميرها ريموند أف بواتيه يتوجه إليه ويعلن خضوعه له ، ويتعهد بوضع المدينة وقلعتها تحت سلطته .[٨٨]

ثم جاءت الأسباب المباشرة التي دفعت رينو دي شاتيون إلى الهجوم على جزيرة قبرص ، وهي أن الإمبراطور مانويل لم يفِ بوعوده معه ، وأبطأ في إرسال المكافأة المالية المتفق عليها بعد نجاح حملته على الأمير ثوروس الأرميني ، وهو ما أصابه بالغضب الشديد [٨٩] . كما أن رينو كان بحاجة ضرورية إلى المال ، وطلب من الإمبراطور أن يمده به ، ولكن الإمبراطور رفض .[٩٠]

ويبدو أنه بعد انتهاء حرب رينو على الأرمن طالبه جنوده بأجورهم وكان يمر بضائقة مالية كبيرة بسبب ما أنفقه من أموال كثيرة لتغطية تكاليف الحرب ضد ثوروس[٩١]، إضافة إلى تحمله مشقات الطريق ووعورته ، وما قتل من رجاله في أثناء المعركة ، وهو يحارب خصمًا عنيدًا مثل ثوروس . كل هذه الأعباء الكثيرة إضافة إلى موقف الإمبراطور الذي حنث في وعوده بإرسال تكاليف الحملة إلى رينو جعلت الأخير يفكر كيف يتحصل على حقوقه بأية وسيلة .

---

(٨٦) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٧٤- ٧٦ ، ١٢٨ - ١٢٩ .

(٨٧) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p ٢٢. ;
وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٣٤.

(٨٨)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p ٢٣- ٢٤. ;
وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ١٤٧ - ١٤٨.
للمزيد من التفاصيل حول حملة يوحنا كومنين على أنطاكية عام ١١٣٧م راجع : وليم الصوري ، الحروب الصليبية ، ص ١٣٤- ١٣٦ ، ١٤٦- ١٤٨.

(٨٩) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p ٢٢. ;
وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

(٩٠) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p ١٣٦.

(٩١)Schlumberger G., Renaud de Châtillon ,p ٦٧ .

ويمكن إضافة أسباب أخرى ؛ وهي تتمثل في دوافع شخصية بنفس رينو وهي ولعه بالمغامرة وميله إلى الحروب و القتال وإراقة الدماء وما عرف عنه من محبة المال والطمع في تحصيل الذهب . والمصادر تؤكد هذه الحقائق ، لأنه منذ بداية وجوده في بلاد الشام وضع نفسه في خدمة الملك الصليبي بلدوين الثالث وحارب معه مرتزقا طمعا في المال [٩٢]، كما كان محبا للسلب والنهب وميالا للشر وسفك الدماء ، ويشهد على ذلك تضييقه على دامبرت بطريرك أنطاكية الموالي لسياسة مملكة بيت المقدس ، وتجريده من ماله وأموال خزانته الكنسية ، وتقاضيه الأموال في نظير إطلاق سراحه [٩٣] . وتعدد حملاته للهجوم على حلب وحارم بقصد السلب والنهب . [٩٤]

كذلك أضاف وليم الصوري أسبابا أخرى دفعت رينو إلى هذا العمل، وهي مشورة أهل السوء من الصليبيين في إمارته وكارهي الملك الصليبي بلدوين الثالث [٩٥]. ولعل وليم الصوري يقصد بأهل السوء ، هؤلاء الرجال الذين انتخبهم رينو وأنفق المال عليهم وعهد إليهم بمراقبة دامبرت البطريرك الصليبي لأنطاكية ، وكانوا أشبه بالجهاز السري أو جواسيس الأمير يحضرون اجتماعات البطريرك ثم ينقلون أخباره إلى أميرهم [٩٦] . ويبدو أن الأمير استخدمهم ضد الملك بلدوين الثالث ليؤدوا له المهمة ذاتها . وما يلاحظ هنا من استخدام وليم الصوري لأسلوب الذم والقدح في وصف رينو دي شاتيون إنما يدل على كراهيته لهذا الأمير.

كل هذه الأسباب كانت كافية لجلب كراهية وليم الصوري وبلدوين الثالث الملك الصليبي والصليبيين عامة لأمير أنطاكية رينو ، كما عرضته لكراهية الإمبراطور البيزنطي وعملت على توسيع رقعة الخلاف والشقاق بينهما في هذا الوقت . ولهذا فكر مانويل بالتضحية به في دفعه إلى حرب الأرمن بكليكيا ، بل والتضحية بالأمير ثوروس نفسه في هذه الحرب ، والقضاء على القوتين معا لتحقيق مكاسب سياسية لبيزنطة تتمثل في تخليص كليكيا من نفوذ الأرمن واستعادتها للنفوذ البيزنطي ، وتقوية الحدود الجنوبية الشرقية للإمبراطورية ، وضمان إعادة السيطرة البيزنطية على مدينة أنطاكية .

ووضح أمام رينو كل هذه الحقائق عندما حنث الإمبراطور مانويل بوعوده ولم يرسل له الأموال التي اتفق عليها معه عند تكليفه بحرب الأرمن . وكان هذا يمثل دافعا قويا للأمير الأنطاكي للتحالف مع ثوروس الأمير الأرميني ، والتقت دوافع الأميرين معا للقيام بالحملة على

(٩٢) وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٥٩.
(٩٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٨٠، ٤٣٩.
(٩٤) مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ص ١٨٥- ١٨٦.
(٩٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠١.
(٩٦) وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠١.

أملاك بيزنطة في قبرص . يتبين مما سبق أن أطماع رينو سيد أنطاكية اتفقت مع عداء ثوروس الأمير الأرميني ضد البيزنطيين ، وهكذا اتفق الطرفان على كراهية الإمبراطور البيزنطي ، وصار أعداء الأمس أصدقاء اليوم وجرى التحالف بينهما لتوجيه ضربة قوية لبيزنطة وإمبراطورها مانويل عدوهما المشترك.

ولم يكن رينو المغامر يعدم وسيلة لتبرير مواقفه وإيجاد الأسباب التي يتذرع بها في القيام بأعماله العدائية ، وكعادته أخذ رينو يختلق الأسباب لكي يبرر ما سوف يقوم به من الهجوم على الجزيرة ، وقبل الغزو قام بحملة دعائية كبيرة ضد بيزنطة ، ويذكر وليم الصوري أنه ادعى أن القبارصة اليونانيين يعذبون اللاتين الذين يقيمون معهم في الجزيزة لاختلافهم عنهم في المعتقد الديني .[٩٧]

ويمكن تفسير هذه الرواية بالنظر إلى جذور هذا الخلاف وطبيعته ، وما نتج عنه من صراع بين الشرق والغرب منذ بداية العصور الوسطى حيث قام قنسطنطين الأول بتأسيس عاصمته القسطنطينية لتكون مركزًا للحكم والإدارة للقسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ، وبقدر هذه المكانة أراد أن يهبها أهمية دينية بين الكراسي الكنسية الرسولية الكبيرة في العالم ، وانتهز الأباطرة البيزنطيون فرصة الخلافات اللاهوتية بين الكنائس حتى يحققوا هذا الغرض ، وعقدوا بها المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م ، وكان الداعي لعقده الإمبراطور ثيودسيوس الثاني Theodesius II (٣٧٩- ٣٩٥م) ، وفي نهايته صار جدال بين رؤساء الكنائس حول أهمية الكنائس وترتيب مراكزها في العالم ، واعترفوا بكرسي كنيسة القسطنطينية الجديد بأنه يتساوي في مركزه مع كرسي كنيسة روما [٩٨]، وأدى هذا الترتيب الجديد إلى حدوث خلافات

---

(٩٧) أشار وليم الصوري بشكل عاجل إلى كثرة وجود اللاتين في قبرص عندما قرر أن في هذه الجزيرة يعيش عدد كبير من المسيحيين ، ويرى الباحث أن الإشارة هذه لم يقصد بها المسيحيين من اليونانيين البيزنطيين فقط ، ولكن من اللاتين أيضا . ويعضد هذا الرأي أن وليم الصوري أشار إلى كثرة عدد المسيحيين بالجزيرة بشكل عام دون التفرقة بين أطيافهم وأجناسهم ومعتقداتهم ، وأن جزيرة قبرص باعتبارها إحدى الجزر التي تمتلك أسطولًا تجاريًا كبيرًا في البحر المتوسط فقد كانت تجذب الكثير من التجار وعائلاتهم ومواطنيهم من مختلف البلدان والأقاليم للعمل والإقامة بها ، كما ساهم اعتدال مناخها وسهولة الوصول إليها في تحقيق هذا الأمر أيضا .
راجع : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠١.

(٩٨)Philostorgius, History of The Church ,Trans. By Edward Walford, hn book: The Ecclesiastical History of Sozomen and the Ecclesiastical History of Philostorgius as Compiled by Photius, Patriarch of Constantinople, London, ١٨٥٥ London,١٨٥٥, book III, ch ٢, p ٤٤٣ .; Socrates, church History from ٣٠٥- ٤٣٩ A.D., trans.by, Zanos , A. C., U. S. A.,١٨٩٠, book V, ch ٨, p ١٢١ I,.; Zonaras, The History Of Zonaras From Alexander Severus to the Death Theodosius the Great , trans. By Banchich, T.M. and Lane , E.N., London , ٢٠٠٩ , book XIII, ch. ١١ , p ١٧٢., ch ١٩ , pp١٨٦- ١٨٧.;
مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني : القانون الثالث ، ترجمة الأب أثناسيوس المقاري ، بكتاب قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية ، مجموعة الدرة الطقسية للكنيسة القبطية بين الكنائس الشرقية ،

كبيرة بين الكنائس الشرقية وكنيسة القسطنطينية التي تلت في الترتيب كنيسة القسطنطينية وروما، حتى جاء مجمع خلقدونيا عام ٤٥١م ، وأيد هذا الترتيب في قوانينه . (٩٩)

وعلى الجانب الآخر رسخ عند الغرب عقيدة رئاسة كنيسة روما لجميع كنائس العالم فيما أطلق عليه النظرية البطرسية التي اعتبرت الرسول بطرس أحد الحواريين أميرا للحواريين ، وأنه مؤسس كنيسة روما ، وعليه تكون كنيسة روما سيدة الكنائس ولا ينازعها أحد في هذه المكانة الدينية ، وهو ما أدى إلى حدوث الصدام بينها وبين الكنائس الشرقية وكنيسة روما .(١٠٠)

اتسعت حدته في منتصف القرن التاسع الميلادي ، حين اصطدم البطريرك البيزنطي فوتيوس Photius (٨٥٨ – ٨٦٧ ، ٨٧٧– ٨٨٦ م) بالبابا الروماني نيقولا الأول Nicola I (٨٥٨– ٨٦٧م) بسبب عبارات عقائدية أضافها البابا الروماني على قانون إيمان مجمع القسطنطينية المسكوني عام ٣٨١م ، وأحدثت خلطًا في طبيعة السيد المسيح ، كما عمل فوتيوس على تقويض النظرية البطرسية ، ونادى بأن لكرسي أنطاكية والقدس أحقية وأسبقية بالرئاسة الدينية لأن بطرس الرسول كان أسقفا لمدينة أنطاكية قبل روما ، وأن القدس شهدت ميلاد وحياة السيد المسيح وتكوين الكنيسة المسيحية الأولى . (١٠١)

وفي منتصف القرن الحادي عشر تعمق الخلاف بين الكنيستين الرومانية والبيزنطية بسبب اختلاف بعض الممارسات الدينية ، من أهمها تحريم الكنيسة اللاتينية زواج رجال الدين ، وتحريم إطلاق لحاهم ، وصيام اللاتين يوم السبت وليس الأحد ، وتناولهم الأسرار المقدسة بخبز غير مختمر وعصير كرمة غير ممزوج بالماء ، هذا عكس رجال الدين البيزنطيين الذين يتزوجون ويطلقون لحاهم ويصومون الأحد وليس السبت ويتناولون بخبز مختمر ويمزجون

السلسلة الأولى : مصادر طقوس الكنيسة ، الجزء الخامس ، القاهرة : مكتبة مجلة مرقس، ٢٠١٣ ، ص ٩٥ . ؛ ابن العبري (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي : التاريخ الكنسي ، ترجمة المطران صليبا شمعون ، ج ٢ جزء فى مجلد واحد ، دهوك : دار المشرق الثقافية ، ٢٠١٢، ج١ ، ص ٢٨ .

(٩٩) مجمع خلقدونيا : القانون الثامن والعشرون ، ترجمة الأب أثناسيوس المقاري ، بكتاب قوانين المجامع المسكونية ، ص ١٤٤ . ؛ يوحنا لورنس فان موسهيم : تاريخ الكنيسة ، ص١٣- ١٤.

(١٠٠) Theophanes, Chronical , trans. Mango , C., and Scott,R. , Oxford , ١٩٩٧, pp ٥٦٤-٥٦٥.;

يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرقس داود ، القاهرة : مكتبة المحبة ، ١٩٧٩، الكتاب الثاني ، فصل ١٤ ، ص ٨٦- ٨٧. ؛ جان كمبي (الأب) : الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، لبنان : دار المشرق ، ١٩٩٤، ص ١٣٣ – ١٣٥ . ؛ يوحنا لورنس فان موسهيم : تاريخ الكنيسة ، ص ٢٣٥- ٢٣٧. ؛ أندرو ملر : مختصر تاريخ الكنيسة ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة الأخوة ، ٢٠٠٣، ص ١٩٢ – ١٩٣. ؛ ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧، ص ١٣٧- ١٣٨ .

للمزيد من التفاصيل حول النظرية البطرسية لكنيسة روما ومناقشتها راجع :

كيرلس مقار (بطريرك) : الوضع في تأسيس الكنيسة ، ترجمة صاحب مجلة صهيون ، ٣ أجزاء ، القاهرة : مطبعة الشمس ، ١٩٢٧ .

(١٠١) إسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ٢٥- ١٤؛ يوحنا لورنس فان موسهيم : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ، ترجمة القس هنري هرس الأمريكاني ، بيروت : المطبعة الأمريكانية ، ١٨٧٥ ، ص ١٣- ١٤.

الكرمة بالماء ، وهو ما دفع البطريرك البيزنطي كريولاريوس إلى عقد مجمع ديني في ٢٤ يوليو ١٠٥٤م أدان فيه معتقدات الكنيسة الغربية ، وعلى أثر هذا احتدم الصراع بين الكنيستين ، وهو ما أطلق عليه الانشقاق العظيم بين الكنيستين الذي استمر حتى عهد الأسرة الكومنينية [١٠٢] . وزادت حدته حتى صار البيزنطيون يعيدون معمودية اللاتين الذين يتزوجون منهم ، ويطهرون المذابح بعد أداء الصلوات اللاتينية عليها ظنا منهم أن اللاتين دنسوها بعقائدهم [١٠٣]، وأخفق كلا من يوحنا كومنين ومانويل كومنين في احتوائه [١٠٤]. والذي استخدمه رينو دي شاتيون في ادعائه على كنيسة قبرص الخاضة لكنيسة بيزنطة بالهرطقة ، ويجب مقاومتها .

ومن هذا العرض يتأكد لنا أن رينو كان على معرفة جيدة بقضية الاختلاف الديني العقائدي بين بيزنطة وروما ، وهي التي زادت حدتها اشتعالا في هذا التوقيت ، وأحسن استغلالها في الترويج لحملته على الجزيرة ، حيث أشعل الحماسة الدينية في قلوب الصليبيين ودفعهم للاشتراك معه في الحملة ، وجعلهم يهبوا لنجدة إخوانهم المعذبون في الجزيرة .

كما أنه استخدم وسيلة دعائية أخرى لا تقل أهمية عن قضية الاضطهادات الدينية، ولها تأثير كبير في قلوب الأرمن لكي يضمن تحالفهم معه وينال ولاءهم له وهي الادعاء بأن اليونانيين من أهل الجزيرة يحرضون السلطات البيزنطية والسلجوقية على شن الحروب ضدهم [١٠٥].

ويبدو أن هذا الادعاء وجد أذاناً مصغية عند الأرمن في كليكيا وخارجها ممن يعيشون في الرها وأنطاكية ، وصادقوا عليه لما يعرفونه من عداء الأباطرة البيزنطيين والسلاطين السلاجقة لهم والحملات التي أرسلها الإمبراطور مانويل كومنين بقيادة أندرونيكوس ضدهم في كليكيا ، وما تلاها من تحالف مانويل مع السلطان مسعود السلجوقي ودفعه على الهجوم على الأرمن مرتين في أقل من عام واحد .

و في مقابل هذا كان الشعب الأرميني يرى أنه يدافع عن قضية تاريخية لديه، وهي قضية الوطن الأرميني الثانى الذي تتعلق به أفئدة الأرمن ، ورأوا أنهم تعرضوا للظلم كثيرا، وتحملوا مشقات متوالية من الفرس والبيزنطيين طوال تاريخهم ، وعانوا كثيرا من سياسات التهجير والقتل وفقدان الممتلكات والثروات والهدم والتخريب ، وأخيرا قد لاح في الأفق أمامهم بريق

---

(١٠٢) إسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ٢٦ . ؛ جان كمبي: الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(١٠٣) Odo de Deuil, De Profectione Ludovici VII en Orientem,ed. Berry, New York , ١٩٤٨, pp ٥٤ ff.

(١٠٤)اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٧٤ – ١٧٥، ٢٧٨.

(١٠٥)Michel Le Syrien , Chronique, tom.III, p ٣١٤.

أمل ليكون لهم وطن يجمع شتاتهم وهو إقليم قليقية ، وقد أخذ هذا الأمل يتحقق شيئا فشيئا على يد الأمير ثوروس الأرميني . وبذلك يكون رينو قد حقق نجاحًا كبيرًا في سبل الدعاية لحملته الجديدة وضمن ولاء الأرمن له .

ولعل موقع الجزيرة شجع الأمير الصليبي رينو على مهاجمتها ، فهي قريبة من ساحل الشام وآسيا الصغرى ، ويمكن الإبحار والوصول إليها من تلك المواضع في غضون عشية وضحاها على حد تعبير ابن خرداذبة الجغرافي [١٠٦] ، أي أنه يمكن الوصول إليها من الساحل الشامي في ساعات قليلة .

وتعد قبرص من أعظم الجزائر في حوض البحر المتوسط [١٠٧]، حيث تقع في الجانب الشمالي الشرقي له ، ويبلغ مساحتها ٥٧٦٨ كيلومتر مربع[١٠٨] . وهي مزدحمة السكان ، ومدنها الكبيرة ثلاث هي نيقوسيا العاصمة وتقع بوسطها ، ومدينة تدعى النمسيون ، ومدينة كيرينية وتقع في جنوبها ، وتكثر بها القرى الريفية والفلاحون ، والحقول والزروع والأشجار وقطعان الأغنام والمواشي[١٠٩] ، وهي غنية بالموارد والثروات الطبيعية مثل معدن النحاس والتي نسبت إليه [١١٠]، كما توفر بها كميات كبيرة من المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة ، والمعادن الأخرى مثل الكروم . كما تمتلك أرضًا خصبة ، وتنتج الحبوب والخضر والفاكهة والقطن وقصب السكر والعنب ، و يستخرج منها الملح وزيت الزيتون والأخشاب وأنواع من البهار مثل المصطكة [١١١]. وكان النشاط التجاري مزدهرا بها ، وبها الأسواق الكثيرة التي تمتلىء بالسلع والمنتجات الزراعية والصناعية ، وتصدر الكثير من البضائع التي تشتهر بإنتاجها [١١٢]. كما اشتهرت بإنتاج الحرير وتصديره ، بالإضافة إلى إنتاج العسل بكميات كبيرة . [١١٣]

---

(١٠٦)ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك ، بيروت : دار صادر ، ١٨٨٩ ، ص ٢٥٥ .

(١٠٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٣١ .

(١٠٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢١٠ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢، ص ٢- ٣ .

وعلى حد تعبير العالم الجغرافي الشريف الإدريسي أن مساحتها تقدر بمسيرة ١٦ يوم .

راجع : الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٤٦١.

(١٠٩) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٤٦١ - ٣٦٢.

(١١٠) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٠٥ .

(١١١) المقدسي البشارى (٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩٣١ ، ص ، ١٨٤. ؛ الكرخي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٣٧ ، ص ٧٠ – ٧١. ؛ دانيال الروسي : رحلة حج الراهب دانيال الروسي: ترجمة وتعليق سهيل زكار ، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣١ ، دمشق ، ١٩٩٨، ص ٢٧٥ – ٢٧٦.

(١١٢) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٤٦١ – ١٦٢. ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، ص ٣- ٤.

(١١٣) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص١٦٢.

وساعد على ازدهار الأنشطة الاقتصادية بها حالة الأمن والاستقرار التي نعمت بها الجزيرة منذ وقت طويل ، حيث كانت بعيدة عن الاضطرابات والحروب والغزوات الموجودة في بلاد الشام التي اجتاحها الصليبيون ، وبمنأى عن حروب السلاجقة والأرمن والبيزنطيين في آسيا الصغرى . كل هذه الموارد والثروات وتوفر الأمن جعلها واحدة من أغنى الأقاليم البيزنطية في هذا الوقت .(١١٤)

أما ما جاء في المصادر فيما يختص بالعناصر المشاركة في الحملة فنرى المؤرخين الأرمنيين وهما جريجوري الكاهن وسمباد يذكران أن ثوروس اتفق مع رينو على مهاجمة الجزيرة ورافقه في الخروج بها إلى قبرص (١١٥). وجاء عند كيناموس إشارة تفيد اشتراك ثوروس مع رينو في القيام بالحملة ، وقد أوردها متأخرة نوعا ما ، وجاءت في معرض حديثه عن حملة الإمبراطور مانويل على الشرق عام ١١٥٨م ، حين عرض لزيارة كلٍّ من رينو وثوروس للإمبراطور في المصيصة يلتمسان منه العفو على ما ارتكبوه من خطأ فادح عندما هاجما قبرص (١١٦). أما وليم الصوري فاقتصرت روايته على ذكر دور رينو فقط دون الإشارة من قريب أو بعيد إلى اشتراك الأمير الأرميني مع رينو فى هذه الحملة (١١٧). كذلك ميخائيل السرياني لم يذكر شيئًا عن اشتراك ثوروس مع رينو في الحملة . (١١٨)

وثمة مسألة مهمة وهي هل تمدنا المصادر الرئيسية لهذه الحملة بمادة تاريخية لمعرفة هل الداعي للحملة ثوروس الأرميني أم رينو الصليبي ؟. وعند البحث في المصادر نجد المصادر الأرمينية تؤكد أن ثوروس هو من قام بدعوة رينو لها ، ولاقت هذه الدعوة قبول ورضاء الأمير الصليبى ، وصار اتفاق بينهما على تنفيذها .(١١٩)

في حين صمتت المصادر الأخرى الصليبية والسريانية والبيزنطية عن إعطاء معلومات أو إشارات من قريب أو بعيد تفيد في هذه المسألة . غير أن المصدر الصليبي وصاحبه وليم الصوري قرر أن رينو لم يكن في حاجة لأحد يدفعه إلى هذا العمل العدائي ضد بيزنطة بل أن

---

(١١٤) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص٢٠٧ -٢٠٨ . ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج ٢، ٥٦١.

(١١٥)Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٧. ; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٥.

(١١٦) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٨ .

(١١٧) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢ – ٤٠٣ .

(١١٨) Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.

(١١٩)Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٧ .; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٥.

دوافعه هي التي شجعته على ذلك [١٢٠] ، ويتفق ميخائيل السرياني مع وليم الصوري في هذا الرأي .[١٢١]

لكن الباحث يميل إلى الأخذ بالرواية الأرمينية أكثر من غيرها وأن ثوروس هو الذي دعى رينو لهذه الحملة ، وأسبابه تتمثل في اتفاق المصدرين الأرمينيين على هذا الرأي، وأن موقع جزيرة قبرص أقرب من ساحل كليكيا عن ساحل أنطاكية ؛ وأن ما خاضته بيزنطة من معارك ضد ثوروس يعتبر تهديدكبير يتعلق بمسالة بقاء جنس الأرمن ، وليس صراعا على حدود أو نفوذ فقط ، إنما صراعها مع إمارة أنطاكية الصليبية كان في الكثير منه صراعا لفرض نفوذ وهيبة بيزنطة على الإمارة الصليبية ، لأنها أيقنت من زمن بعيد صعوبة بل استحالة القضاء على النورمان . ونستنتج مما جاء في المصدرين الأرمينيين أن ثوروس هو الذى حرض رينو على القيام بالحملة ، وكما فصلنا سابقا أن كلا الأميرين له دوافعه التي تبرر له ذلك .

ووفقا لروايات المصادر المعاصرة تظهر أمامنا قضية في غاية الأهمية، وهى المتعلقة بموضوع اشتراك ثوروس في هذه الحملة من عدمه . وزاد هذه المسألة تعقيدا انقسام المؤرخين المحدثين حولها بين مؤيد ومعارض ، وكل منهم أخذ يفسر ويحلل ما جاء في المصادر بشأنها وفقا لمنهجه التاريخي . ورأى المؤرخ رنسيمان مشاركة ثوروس في الحملة اعتمادا على ما ورد في المصادر الأرمينية التي تؤيد مشاركة قائدهم فيها .[١٢٢]

بينما رأى مؤرخ آخر عدم اشتراكه في الحملة ، وأن ثمة اتفاقاً عُقد بين رينو وثوروس على أن يقوم الأمير الأرميني بإمداد الأمير الأنطاكي بالقوات العسكرية والسفن البحرية اللازمة لنقل الجنود بحرا إلى جزيرة قبرص ، على أن يتولى رينو قيادة القوات المشتركة هذه ، وعلى الجانب الآخر يمكث ثوروس في قليكيا ومعه قسم من القوات العسكرية يدافع به عن بلاده وأنطاكية في حال حدوث أي هجوم بيزنطي عليهما .[١٢٣]

ويرى الباحث أنه على الرغم من عدم اعتراف وليم الصوري وميخائيل السرياني باشتراكه في الحملة ، فإنهما لم ينفيا أمر اشتراكه ، بل أنهما لم يشيرا إليه عن عمد ولكل منهما أسبابه . وأن وليم الصوري لم يشر إلى مشاركة ثوروس في هذه الحملة لسبب أنه اهتم في تاريخه بذكر ما يتعلق بأعمال الصليبيين أكثر من أي شيء آخر ، وعندما تحدث عن ثوروس

---

(١٢٠) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

(١٢١) Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.

(١٢٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٥٦١.

(١٢٣) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٢٠٩– ٢١٠.

في وقت سابق عند محاربة رينو له بإيعاز من الإمبراطور مانويل كومنين اتضح من روايته أنها جاءت مختصرة كثيرا ، وهذا يدل على أنه كان يجهل الكثير عن الأرمن ، لعل ذلك ينبع من كراهيته لهم لاختلافهم عنه في المذهب ، وهو الأسقف اللاتيني المتشدد .

أما ميخائيل السرياني وهو الأسقف الشرقي فقد أراد أن ينأى بزعيمه ثوروس المتفق معه في العقيدة عن القيام بمثل هذا العمل العدائي ضد قبرص ، وعن مشاركته لقيادة صليبية عرف عنها استخدام الأساليب الملتوية والشريرة في تحقيق أهدافها ، ورغباتها ومقاصدها في جمع المال والحصول على الذهب والثروات . وأن جون كيناموس اكتفى بإشارة موجزة إلى مشاركة ثوروس في الحملة على قبرص خجلا مما لاقاه البيزنطيون من الهزائم على يديه ، أو أنه كان ينظر إليه باعتباره ثائرًا أرمينيًا هرب من الأسر البيزنطي وأنه لابد عائد يوما ما .

أما مسألة الدفاع عن كليكيا وأنطاكية فمن الممكن أن يقوم بها توماس أخو ثوروس والأمراء الأرمن والأنطاكيون الآخرون ، كما أنه كان يصعب على الإمبراطور البيزنطي إعداد جيشه وتجهيزه والسير به إلى آسيا الصغرى وسط أعدائه من السلاجقة في هذا الوقت . وعلى ما يبدو أن الاتفاق بين الأميرين رينو وثوروس كان القيام بحملة حربية سريعة على الجزيرة دون الاستيلاء عليها والإقامة بها وضمها لأملاكهم ، وهذا الرأي يؤكده ما سوف يجري من أحداث في هذه الحملة .

كما أنه وفقا للمصادر الأرمينية والمصدر السرياني وصاحبه كيناموس أن ثوروس رافق رينو في الحملة. وهذه المصادر أصدق من غيرها وذلك لكون أصحابها من جنس الأمير الأرميني ثوروس، وأنها أوردت معلومات دقيقة عنه وعن أعماله ، هذا إلى جانب أن ثوروس كان يدفعه الانتقام من الإمبراطورية البيزنطية التي لاقى منها الويلات سابقا . وبهذا اتفقت دوافع الأميرين الصليبي والأرميني على التدبير والتنفيذ لهذه الحملة وخروجهما معا بها لغزو قبرص .

وهناك مسألة أخرى كانت مثار خلاف بين المؤرخين، وهي التي تتعلق بأمر قيادة الحملة هل وضعت في يد رينو الأنطاكي أم ثوروس الأرميني ؟ وبالعودة إلى المصادر الأساسية نرى جريجوري الكاهن يقرر أن قيادة الحملة كانت بيدي الأميرين معا ، وكانت قيادتها تتوزع فيما بينهما .[١٢٤] كما أن سمباد أيد جريجوري في هذا الأمر .[١٢٥]

(١٢٤)Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٧ .
(١٢٥)Smbat Sparapet , Chronical, p ٧٩.

أما وليم الصوري وميخائيل السرياني فقد اتبعا حديثهما عن هذه الحملة بأن قائدها هو رينو دي شاتيون ، دون الإشارة إلى ثوروس الأرميني [١٢٦]. وفي الوقت نفسه نجد كيناموس لا يعطي أية معلومات تفيد في تحديد من كان بيده القيادة . ولكن يتضح من العرض السابق أن قيادة الحملة كانت موزعة بيدي الأميرين رينو الصليبي وثوروس الأرميني .

ومن حيث الإعداد العسكري لها ، فنجد المصادر تفيد بأن الهجوم على قبرص يحتاج بالضرورة الاعتماد على وسيلة بحرية لنقل الجنود و الأسلحة والخيول ودواب الحمل والإمدادات الغذائية ، وأشارت المصادر إلى استخدام رينو لأسطول بحري في نقل جنوده والإبحار بهم في مهاجمة الجزيرة . [١٢٧]

وكان رينو مدركًا لأهمية الأسطول البحري نظرا لأن إمارته أنطاكية تمتلك ساحلًا طويلًا على البحر المتوسط ، لذلك كان يوجد لديه دار لصناعة السفن ، يعمل بها رجال يمتازون بالمهارة ، وكانوا يصنعون أجزاءها ثم يحملونها على ظهور الإبل حتى تنقل إلى الساحل ويتم تجميعها بالقرب من الماء في وقت قصير، ثم يقوم بشحنها بالمقاتلة والعتاد والأسلحة وتبحر في طريقها . [١٢٨]

كما أشارت المصادر إلى أن ثوروس الأرميني كان لديه سفن لنقل الجنود الأرمن انضمت إلى الأسطول الأنطاكي وتشاركا فى الهجوم على الجزيرة [١٢٩] . وإن لم تذكر المصادر إحصاء لعدد الجنود الأرمن والصليبيين الذين اشتركوا في الحملة ، ولم تشر إلى عدد سفن الأسطولين الأرميني والصليبي ، لكن يبدو أن عدد الجنود كان عدد اًكبيرًا نسبيا يزيد عن عدد جنود القوات البيزنطية في جزيرة قبرص ليضمنوا الانتصار عليهم .

ويرى المؤرخ جوستاف شلمبرجر أن رينو قام بعملية جمع معلومات عن الجزيرة قبيل الخروج بالحملة عليها ، واستخدم الملاحين وأصحاب التجارة البحرية الذين يسافرون بحرا بين الجزيرة وبلاد الشام في معرفة الكثير مما كان يخفى عليه في قبرص ، واستقصى منهم عن مداخلها الرئيسية وكيفية تحصيناتها وأبراجها وأسوارها وأعداد جنود القوات البيزنطية المنوط

---

(١٢٦)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.

وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢ .

(١٢٧)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.; John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٨ .;

وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢ .

(١٢٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٧٨١.

كما أشار المؤرخ البيزنطي كيناموس إلى براعة رجال رينو في صناعة السفن بقوله " وبعد أن قام رينو بصناعة السفن أبحر إلى جزيرة قبرص " .

راجع : John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٨ .

(١٢٩)Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٧ .; Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٥.

بها الدفاع عنها ، وأنواع أسلحتهم ، كما تعرف على أحوالها الاقتصادية وحجم تجارتها ومدى ثرائها [١٣٠]. ويرى الباحث أن الأمير الأرميني ثوروس كان يعلم الكثير عن جزيرة قبرص وأوضاعها العسكرية والاقتصادية قبل القيام بالحملة عن طريق التجار والمسافرين بحرا من كليكيا إلى الجزيرة ، لأن ساحل مملكته بكليكيا على البحر المتوسط قريب من ساحل الجزيرة ، وبطبيعة الأمر يوجد حركة سفن ومعاملات تجارية بين الإقليم والجزيرة .

ولتحديد تاريخ القيام بهذه الحملة البحرية نرى أن المؤرخ الأرميني جريجوري الكاهن يسجلها بين أحداث عام ١١٥٩م ، واعتبرها سببا مهما من أسباب قيام حملة الإمبراطور مانويل كومنين على الشرق في سبتمبر عام ١١٥٨م / رمضان ٥٥٣هـ [١٣١]. يتضح من هذا أن جريجوري أشار إلى أن الحملة الصليبية الأرمينية على قبرص حدثت في تاريخ سابق عن حملة مانويل كومنين على الشرق ، لكنه لم يحدد لها تاريخا صريحا لها . أما المؤرخ سمباد فقد ذكر قيام الحملة بين أحداث عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ [١٣٢] . بينما ميخائيل السرياني حدد تاريخها ما بين عامي ١١٥٥- ١١٥٦م [١٣٣]. وأشار لها جون كيناموس في أثناء تقدم الإمبراطور مانويل في حملته ووصوله المصيصة .[١٣٤]

وعند وليم الصوري نجد أنه بعد ما تحدث عن هذه الحملة أعقبها برواية أخرى عن واقعة جرت في الوقت نفسه ، وهذه الرواية تتحدث عن قيام العرب بأعمال الرعي لمواشيهم وأغنامهم ودوابهم بالقرب من بانياس ، ثم تبعها بالحديث عن مباغتة الصليبيين لهم بالهجوم ونجاحهم في الاستيلاء على قطعان كثيرة من الماشية والأغنام [١٣٥] . يتضح من رواية وليم الصوري هذه أن تاريخ الحملة على قبرص يسبق زمنيا تاريخ هجوم الصليبيين على مراعي بانياس ، ولأن حركة الملاحة البحرية وموسم الرعي يبدأ في فصل الربيع والصيف من العام بحيث تكون الظروف المناخية مستقرة ، والمراعي يغطيها الحشائش.

---

(١٣٠)Schlumberger, Renaud de Châtillon, p ٧٠.

(١٣١)Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٦ .

(١٣٢)Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٣.

(١٣٣)Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢ .

(١٣٤)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٨.

(١٣٥) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٤٠٣– ٤٠٤.

وبتتبع الأحداث عند وليم الصوري نراه يحدد تاريخ سقوط عسقلان في يد الصليبيين بأغسطس عام ١١٥٣م ، وكان العام العاشر من حكم الملك الصليبي بلدوين الثالث ، وهو العام نفسه الذي أعلن زواجه من كونستانس أرملة ريموند الثالث أمير أنطاكية ، كما قبض على البطريرك الأنطاكي الصليبي دامبرت في العام ذاته ، وفي العام التالي١١٥٤م أشار إلى حدوث مجاعة كبيرة ، وفي العام الذي يليه ١١٥٥م قام رينو بمهاجمة قبرص .

راجع : وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٧٢ ، ٢٨٠، ٤٠١.

أما جون كيناموس فقد أشار صراحة إلى أن هذه الحملة كانت بقبرص في فصل الصيف ، وكانت درجة الحرارة مرتفعة [١٣٦]. وبالاستعانة بتاريخ ابن القلانسي – وهو المصدر العربي المعاصر لهذه الأحداث – نجده يحدد تاريخ هجوم الصليبيين على مراعي بانياس كان في ٢٠ ذي الحجة ٥٥١هـ / ٢ فبراير ١١٥٧م [١٣٧] . يتضح منه أن الهجوم على مراعي بانياس كان في فصل الشتاء ، وصرحت رواية وليم الصوري أن هذا الهجوم حدث بعد الحملة على قبرص وليس قبلها ، وفي أثناء الفترة التي يقضيها العرب في الرعي ، وبإضافة إشارة جون كيناموس عن وجود الحملة بقبرص في فصل الصيف الذي اشتدت حرارته . من كل هذا نستنتج أن الحملة على قبرص كانت في صيف عام ١١٥٦م / ٥٥١هـ ، ومما يدعم هذا التاريخ اتفاقه إلى حد كبير مع تحديد المؤرخ ميخائيل السرياني .

وفي هذا الوقت كانت جزيرة قبرص تخضع للحكم البيزنطي تحت إمرة يوحنا كيناموس John Comonenus ابن أخي الإمبراطور مانويل كومنين [١٣٨]. ويذكر عنه أنه كان من كبار رجال القصر الإمبراطوري ، وشارك الإمبراطور يوحنا كومنين في حروب الإمبراطورية ضد أعدائها ، وفي تنصيب مانويل كومنين إمبراطورا [١٣٩] . يتضح من هذا أن يوحنا كومنين حاكم قبرص كان لديه خبرة كبيرة في إدارة شؤون الحكم ومهارة حربية في الأمور العسكرية ، وهو ما أهله لاحقا للقيام بدور حربي في الدفاع عن الجزيرة .

وبالنسبة للحامية العسكرية المنوط بها الدفاع عن الجزيرة فكانت تتكون من عدد من الفرق الحربية البيزنطية تحت قيادة القائد البيزنطي ميخائيل براناس [١٤٠] Michael Branas. هذا القائد كان حاكما على إقليم داكيا Dacia ، واستقبل القوات الألمانية والفرنسية المشاركة في الحملة الصليبية الثانية عند عبورهم إقليمه عام ١١٤٧م ، ووفر لهم الاحتياجات الضرورية ،

---

(١٣٦) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٩.

(١٣٧) ابن القلانسى (٥٥٠هـ /١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد : تاريخ أبو يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط بن الجوزي والحافظ الذهبي ، القاهرة : مكتبة المتنبي ، ١٩٩٧ ، ص ٣٣٧ .

(١٣٨) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٧.;
. وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣١- ٤٣٢.

(١٣٩) وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٢٠٧.
ويضيف وليم الصوري أن يوحنا هذا كان يرافق الإمبراطور مانويل كومنين في حملته على الشرق عام ١١٥٨م ، وشاركه في الهجوم على على إقليم كليكيا وضرب القوات الأرمينية والاستيلاء على مدنها ، وأقام معه في المصيصة ، وكان حاضرا في معسكر الإمبراطور حين قدم رينو دي شاتيون يلتمس عفو الإمبراطور عليه بسبب مهاجمته قبرص وسلبها ونهبها في حملته عليها . ومثله الأمير ثوروس الأرميني . ويتضح من هذا أن رينو دي شاتيون أطلق سراح يوحنا بعد انتهاء الحملة على قبرص . وأن الإمبراطور مانويل اصطحبه معه في حملته على الشرق ليشارك في تأديب الأميرين رينو وثوروس انتقاما له بما حل به وقبرص مقر حكمه من جراء الحملة الصليبية الأرمينية عليها في عام ١١٥٦م .
راجع : وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٣٠ -٤٣٢.

(١٤٠) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٧ .

وشارك الإمبراطور مانويل في الحرب على الصرب والانتصار عليهم عام ١١٥٠م ، وكان من أهم قادة جيشه ، وتمتع بالمهارة الحربية .[١٤١]

هذا وقد ذكر وليم الصوري أنه قبيل خروج الحملة قام بعض المخلصين بنقل أخبارها إلى سكان الجزيرة وحاميتها البيزنطية [١٤٢]. وعلى الرغم من عدم ذكر وليم الصوري أيا من هؤلاء المخلصين إلا أن رنسيمان يرى أن الملك بلدوين الثالث هو الذي قام بهذه المهمة [١٤٣]. كما رأى مؤرخ آخر أن وليم الصوري يقصد بهؤلاء المخلصين بعض الأنطاكيين من الصليبيين الناقمين على سياسة رينو .[١٤٤]

ويأخذ الباحث برأي رنسيمان لأنه في هذا الوقت كان الملك الصليبي يمهد إلى مشروع زواجه من ثيودورا ابنة أخي الإمبراطور مانويل [١٤٥] . كما أنه استاء من أفعال رينو الفوضوية مثل اعتدائه على البطريرك اللاتيني لأنطاكية إيمري ، وصراعه معه على ملكية مدينة شيزر ، وعدم انصياعه لقراراته الملكية ، ولذلك أراد أن يتخلص منه بأي وسيلة ، ويُظهر في نفس الوقت حرصه على مصالح بيزنطة.

وينفرد وليم الصوري بذكر خطة الدفاع التي وضعها حاكم الجزيرة البيزنطي ، وصرح أنه عند وصول أخبار الإعداد للحملة إلى يوحنا كومنين حاكم الجزيرة أسرع بنقلها إلى قائد قواتها العسكرية ميخائيل براناس حتى يتداولوا في الأمر ، ويشرعوا بوضع خططهم في التصدي له . واتفقوا على تقسيم القوات الحربية إلى قسمين ، يتولى قائد القوات العسكرية أحدهما ، ويكون في مقدمته ، ويتولى أمر ملاقاة الجيش الصليبي الأرميني عند وصوله للجزيرة . وعلى الجانب الآخر يكون يوحنا كومنين على رأس القسم الثاني من القوات ويتمركز بهم في العاصمة نيقوسيا Nicosia ، ويسند إليه مهمة الدفاع عنها . وبالفعل تقدم ميخائيل براناس بقواته نحو سواحل الجزيرة وموانيها البحرية المواجهة للساحل الأنطاكي وهو الاتجاه الذي تسلكه الحملة في غزوتها.[١٤٦]

وتشير المصادر إلى خروج الحملة من أنطاكية في اتجاه الجزيرة ، ووصفت عملية سيرها بالسريعة ، بشكل أكثر مما تتوقعه القوات البيزنطية؛ الأمر الذي أعجزها عن استكمال تجهيزاتها الدفاعية ، وترك أثرًا كبيرًا في عملية الهجوم .[١٤٧]

---

(١٤١) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ٦٠, ٨٧ .

(١٤٢) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

(١٤٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص ٥٦١.

(١٤٤) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٢١٠.

(١٤٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤١٥ – ٤١٦ .

(١٤٦) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

(١٤٧) Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٧ . ; Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.;

وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

يدل هذا على ذكاء وخبرة قادة الحملة رينو وثوروس ، وأنهما كانا داهيتين في الحروب لذلك ضمنا عنصر السرعة والمفاجئة ، إضافة إلى ذلك وضعا قواتهما في مركز الهجوم ، وكل هذه المعطيات من الأسباب الرئيسية في تحقيق النصر في المعارك .

وتحدث المؤرخ البيزنطي كيناموس عن المعارك الأولى بين جنود الحملة والقوات البيزنطية، وقرر أنه عندما وصلت القوات الصليبية والأرمينية للجزيرة قام قائدها العسكري ميخائيل براناس وبرفقته القسم الأول من القوات البيزنطية بمواجهتهم، ونجح في أول الأمر في صدهم وأحرز بعض الانتصارات عليهم ، لكن القوات المعتدية واصلت الهجوم بضراوة ، وكان التفوق العددي في صالحهم ، وما لبثت أن استردت مواقعها وتقدمت نحو القوات البيزنطية واشتبكت في معارك حامية ضدها ، ونجحت في إحراز انتصارات متتالية عليها وأوقعت الكثير منهم ما بين قتيل وجريح وأسير ، ونجحت في الإحاطة بالقائد باراناس وأوقعوه في الأسر [١٤٨] .

هذا ما ذكره المؤرخ كيناموس في تاريخه عن المرحلة الأولى من الاشتباك بين القوتين ، وأقر بتحقيق قوات باراناس انتصارا على قوات الحملة الصليبية الأرمينية في بداية المعارك لكنها لم تصمد كثيرا أمام دهاء الأميرين وذكائهما الحربي وقواتهما المدربة . ويتضح منه أن قوات الحملة كانت كثيرة العدد وأكثر تنظيما ومهارة حربية من القوات البيزنطية الصوري الجزيرة .

وأخذ أحد المؤرخين المحدثين يفسير أسباب الهزيمة التي لحقت بالقوات البيزنطية التي تحت قيادة براناس بأنها يرجع إلى قلة القوات البيزنطية ، وأن وظيفتها كانت القيام بعملية عرقلة إنزال القوات الصليبية والأرمينية إلى سواحل الجزيرة .[١٤٩]

ويرى الباحث أن القوات البيزنطية لم تكن وظيفتها عرقلة القوات المهاجمة فقط ، بل كانت تؤدي وظيفة الدفاع عن الجزيرة ، ويؤيد هذا خطة الدفاع التي اتفق عليها حاكم الجزيرة وقائد قواتها العسكرية ، ولكن بسبب امتلاك الجزيرة العديد من الشواطىء ، ولطول سواحلها وقلة عدد جنودها – وخاصة بعد تقسيمها إلى قسمين – بالإضافة إلى انضمام مزيد من القوات الصليبية والأرمينية للحملة عقب وصولها للجزيرة – لهذا لم تتمكن القوات البيزنطية من تغطية كامل سواحل ومداخل الجزيرة ، وعلى الرغم من هذا فقد استطاعت قوات برناس تحقيق انتصار عسكري الصوري البداية إلا أنها لم تستطع الصمود طويلا وتعرضت للهزيمة .

(١٤٨) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٧ .

(١٤٩)محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٢١١.

ويضيف المؤرخ كيناموس أن يوحنا كومنين قائد القسم الآخر من القوات البيزنطية والذي تمركز بقواته داخل العاصمة نيقوسيا ، عندما علم بالهزيمة التي لحقت بصديقه باراناس خرج على رأس قواته من نيقوسيا قاصدا التصدي لهجوم القوات المعادية قبل بلوغها إلى العاصمة ، واشتبك مع قوات الحملة ، وبذل مجهودات كبيرة في القتال إلا أن قواته كانت أقل عددا من قوات الحملة ، فتعرض إلى الهزيمة ، ووقع فى الأسر مثل باراناس .[١٥٠]

يرى الباحث أن السبب الأكثر أهمية في هزيمة القوات البيزنطية في التصدي للحملة الصليبية الأرمينية هو تقسيمها إلى قسمين أحدهما يتبع باراناس والآخر يسير خلف يوحنا كومنين ، مما أدى إلى قلة جنود كل قسم منهما ، وعمل على إصابة القسمين بالضعف ، وكان من الأفضل للقوات البيزنطية ألا تنقسم ، وأن تتحد في وحدة واحدة في مواجهة الحملة ، وهذا يزيد من قواتها ويجعلها قادرة على مواجهة الحملة ، وربما استطاعت صدها وإلحاق الهزيمة بها وردها على أعقابها .

يضاف إلى ما سبق سبب آخر، وهو يتعلق بموقف الإمبراطور البيزنطي الذي لم يلتفت لهذا الأمر ، على الرغم من إقرار المصادر بحدوث تسريبات عن الحملة قبل وصولها إلى الجزيرة ، وربما يكون حاكم الجزيرة لم يتصل بالإمبراطور ليخبره بأمر الحملة بسبب ضيق الوقت ، أو اعتقادا منه أنه يمتلك قوات كافية لصد الهجوم . وأن السبب الأهم في نجاح هذه الحملة يتمثل في إسراع قادتها في القيام بها، وبذلك لم تعطِ الفرصة لحاكم الجزيرة لأن يتواصل مع الإمبراطور ، أو يستكمل تجهيز قواته وتقوية استحكاماته .

وبالبحث في موقف الإمبراطور مانويل نجد أنه أراد أن يستغل الصراع الذي قام بين وليم الأول William I ملك صقلية (١١٥٤- ١١٦٦م) والبابا هادريان الرابع Hadrian بابا الكنيسة الرومانية (١١٥٤-) عندما قام وليم بحملاته ضده ، مما جعل هادريان يستعين بالقوى المحيطة به لصد عداء ملك صقلية ، وأرسل إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل يلتمس منه محاربة ملك صقلية النورماني ، وكانت فرصة للإمبراطور البيزنطي لاسترداد أملاك بيزنطة في إيطاليا ، وأرسل جيوشه إليها لتحارب ضد النورمان منذ عام ١١٥٥م حتى العام التالي ١١٥٦م ، بقيادة جون دوكاس John Doukacوميخائيل باليولوجوس Michael Palaiologos[١٥١] .

وحدث تمرد في بعض المدن الإيطالية على الحكم النورماني أدى إلى نجاح القوات البيزنطية والرومانية في السيطرة على عدة مدن هي أبوليا وبرنديزى وتارانتو وبا،ي، وكل

(١٥٠) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١٣٧ .
(١٥١) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,p ١١٤. ;
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٨٣.

الإقليم الساحلي في هذا الجانب حتى وصلوا إلى حدود المملكة النورمانية في جنوب إيطاليا [١٥٢] . لكن ما لبث وليم النورماني أن قام بحملة كبيرة واستطاع هزيمة القوات البيزنطية قرب برنديزي وأسر العديد من قادتها ، وحصل على أموال وغنائم كثيرة منهم ، واسترد المدن التى خرجت عن سلطته سابقا ، ثم فرض الحصار على مدينة بنفنتو التي كانت تابعة لأملاك الكنيسة الرومانية ، غير أنه جرى عقد صلح بين البابا ووليم النورماني ، وانتهت حالة الحرب . [١٥٣]

كما أن الإمبراطور كان يحارب المجريين Hungarians في هذا الوقت لعدة سنوات متتالية منذ عام ١١٥١م حتى قام في عام ١١٥٦م الذي قام فيه بحشد كل قواته وعزم على اجتياح القسم الأكبر من بلادهم ، وخرج على رأس جيشه البرى وسار حتى بلغ نهر الدانوب وعسكر هناك ، وسار أسطوله البحري قبالته حتى غاصت سواحل النهر بالقوات البيزنطية ، وكانوا على أهبة عبور النهر ، غير أن ملك المجر أدرك خطورة الموقف ، وخشي ضياع بلاده كاملة ، وأرسل سفارة إلى الإمبراطور يعده بإعادة كل الأسرى البيزنطين، ويتعهد بتقديم فروض الطاعة والولاء له ، ويطيعه في كل شيء ، ورفض الإمبراطور الصلح في بداية الأمر لكنه ما لبث أن وافق عليه ، واشترط عودة الأسرى الرومان بكامل أسلحتهم ، واسترداد كل الغنائم التى استولى عليها المجريين في المعارك السابقة ، والتعويض عن الجياد والماشية والمتاع الذي سقط في الحروب . [١٥٤]

وفي ما بين عامي ١١٥٤- ١١٥٥م حدث تمرد على السلطة حيث قام أندرونيكوس كومنين حاكم بلجراد بإعلان التمرد وضم المجريين إلى جانبه ، وطمع فى اعتلاء العرش الإمبراطوري ، لكن الإمبراطور نجح فى تدبير مؤامرة له وأمسك به وقيده بالحديد وعاد به إلى القسطنطينية وأودعه السجن فى أحد قصور القسطنطينية . [١٥٥]

---

(١٥٢) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,pp ١٠٨ ff. ; Nicetas Choniates: O City Of Byzantium Annals of Niketas Choniates, trans. by, Magoulias , H.,J.,Detroit, ١٩٨٤, pp ٥٣, ٥٥. ;

وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(١٥٣) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, pp ١٢٩ – ١٣٢. ; Nicetas Choniates: O City Of Byzantium , pp ٥٦- ٥٧. ;

وليم الصوري: الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٩٧ .

للمزيد من التفاصيل عن حروب بيزنطة فى إيطاليا في عهد الإمبراطور مانويل كومنين في هذه المرحلة راجع :

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus,pp ١٠٦- ١٣٥.

(١٥٤)John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, p ١٠٥. ; Nicetas Choniates: O

City Of Byzantium , pp ٥٨.

للمزيد من التفاصيل عن حروب الإمبراطورمانويل كومنين ضد المجريين فى هذه المرحلة راجع :

John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, pp 90 - 105. ; Nicetas Choniates: O City Of Byzantium , pp 53- 54, 58 -59.

(١٥٥) Nicetas Choniates: O City Of Byzantium, p ٥٨.

نستنتج من هذا كله أنه عند مهاجمة الحملة الصليبية الأرمينية لجزيرة قبرص في عام ١١٥٦م ، كان الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين وقواته البيزنطية يحارب في جبهات عديدة ، في إيطاليا وجنوبها ضد القوات النورمانية بقيادة وليم ملك النورمان ، وفي المجر حيث قام بعدد من الحملات على المجريين ، وواجه تمرد أندرونيكوس كومنين على العرش ، ولذلك لم يكن يستطيع أن يترك هذا كله ويتجه إلى قبرص ليتصدى للحملة ، وربما اعتقد أن القوات البيزنطية بالجزيرة تستطيع صد العدوان ، لأن لديه ثقة كبيرة في قدرات حاكم الجزيرة يوحنا كومنين وقائد قواتها ميخائيل براناس ، لأنهم حاربوا معه قبلا ضد أعداء الإمبراطورية ويعرف عنهم الشجاعة والمهارة في الحروب، وأخيرا ربما أساء تقدير قوة خصومه رينو وثوروس وقواتهما المشتركة المتقدة حماسة وطموح ورغبة في الظفر والغنيمة.

أما مسلك رينو وثوروس وقوات الحملة بعد انتصارهم في المعارك العسكرية فقد جاء وصفه في العديد من المصادر التاريخية وأهمها ما جاء في رواية وليم الصوري حيث قرر أن سكان الجزيرة ارتاعوا وتملكتهم الرهبة واعتراهم الخوف عندما نظروا التصرفات الوحشية والقسوة التي تعامل بها جنود الحملة مع جنود الحامية الذين سيقوا إلى الذبح مثلما يساق الغنم دون رحمة أو شفقة ، وما شاهدوه بعيونهم من أسر الجنود الذين لاذوا بالحصون والمخابىء وإعماله القتل فيهم دون رحمة حتى جرت الدماء وخضبت أراضي الجزيرة كلها ، واقتحامهم كل المدن والقرى دون أن يجرؤ أحد على مقاومتهم ، وقتلهم الرجال والشيوخ والأطفال دون تفريق بين كبير وصغير ، وسبيهم أعداد كبيرة من النساء .[١٥٦]

وأضاف أنهم اقتحموا الأديرة وما خصص منها للراهبات واغتصبوا العذارى المقيمات داخلها دون مراعاة للحرمات الدينية وقداسة المكان وعفة العذارى ، وسلبوا أديرة الرجال ، وهجموا على الكنائس العتيقة وسرقوا أدواتها الذهبية والفضية وأيقوناتها المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بالأحجار الكريمة ، واقتحموا منازل العائلات الشريفة واغتصبوا نسائها وبناتها ، واستولوا على الأموال والذهب والفضة والثياب الحريرية ، وسرقوا الماشية وشحنات كثيرة من منتجات الجزيرة من الحبوب والغلات الزراعية والمعادن النفيسة ، وظلوا على هذه الحالة من السلب والنهب والأعمال المخزية عدة أيام .[١٥٧]

كما نجد المؤرخ جريجوري الكاهن يقر بأن قوات الحملة قامت بتخريب المدن والقرى ، وسلبوا المنازل ومتعلقاتها من أموال وثروات وثياب ، وطردوا أهلها منها ، وعاقبوا رجال الدين البيزنطيين بجدع أنوفهم وصلم أذانهم ، وبلغت هذه الأخبار إلى مسامع الإمبراطور البيزنطي

(١٥٦) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.
(١٥٧) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢.

لكنه لم يسطع فعل شيء لوقف هذه الكوارث [١٥٨] . يتضح من هذا أن جريجوري الكاهن يصرح بأن الإمبراطور البيزنطي مانويل وصلت إليه أخبار عن هذه الحملة والأفعال المشينة التي ارتكبتها في قبرص دون أن يحرك ساكنا.

أما المؤرخ سمباد فقد وصف الكارثة بقوله إنهم اقتحموا الجزيرة فجأة ، وحطموا مدنها وقراها وسلبوا الممتلكات والماشية والأغنام ، وقطعوا أيدي وأرجل بعض الناس ، وجدعوا أنوف الرجال البارزين ورجال الدين بها ، وأضاف أن ثوروس فعل بالقبارصة كل هذا انتقاما من البيزنطيين الذين أسروا والده وأمه وإخوته ، وأباه الذي مات في الأسر ، وقبضوا على أمراء الأرمن واقتادوهم إلى القسطنطينية مكبلين بالأغلال وعلقوهم أحياء على بواباتها . [١٥٩]

ويضيف ميخائيل السرياني أن جنود الحملة سلبوا الجزيرة ، واستولوا على منتجاتها ومتاجرها وثرواتها ، واقتحموا بيوت أثريائها وسرقوا كل أموالهم وذهبهم وفضتهم وأشيائهم الثمينة ، كما هاجموا الحقول والقرى الريفية واستولوا على مخازنها وماشيتها وأغنامها ، وسحبوا قطعان الحيوانات حتى ساحل الجزيرة ، ولم يطلقوا شيئًا منها حتى تقاضوا عليه أموال كثيرة ، وبيعت لأصحابها بأسعار عالية ، وحملوا ما تبقى على السفن إلى بلادهم ، وهجموا على الكنائس وسلبوا أدواتها الذهبية والفضية ، وأيقوناتها المرصعة بالأحجار الكريمة ، كما اقتحموا الأديرة وقتلوا الرهبان والراهبات ، ووقع في أسرهم رجال الإدارة المدنية والولاة ورجال الكنيسة الأساقفة ورؤساء الأديرة و أجبروهم على دفع فدية مالية كبيرة في سبيل إطلاق سراحهم ، و احتجزوا العديد منهم ممن لم يستطيعوا فداء أنفسهم ، وخضعوا للأسر في أنطاكية . [١٦٠]يتضح من هذا أن ميخائيل السرياني أعطى صورة عامة للأحداث وأفعال قادة الحملة وجنودها في قبرص، ولكن روايته جاءت موجزة دون تفصيل .

وينفرد المؤرخ كيناموس بذكر رواية لم يأت ذكرها في المصادر الأخرى ، وهي الاعتداء على الأسقف البيزنطي للجزيرة حيث اعتقد أنه يحوز ثروات ضخمة ، وقبض عليه منفردا وطلب منه أن يعطيه ثروات وأموال الكنيسة ، ثم نزع عنه ملابسه الدينية ، وجعله عاريا ، وضربه بالعِصي حتى أحدث جروحًا وكدمات كثيرة في جسمه ، وانتهز فرصة ارتفاع درجة الحرارة واشتداد أشعة الشمس في هذا الوقت من العام وقام بصب العسل في الجروح وعرض الأسقف لأشعة الشمس الحارقة ، واجتمع عليه البعوض والنحل وكل الهوام باللدغات القاسية يمتصون دمائه ، ولم يحتمل الأسقف هذا العذاب واضطر أن يعطيه ما يمتلكه وكنيسته من الأموال والثروات مقابل إطلاق سراحه ، وبعد هذا قام رينو بتوجيه الإهانة له فاستخدمه لسحب

---

(١٥٨) Gregory the Priest, Chronical , p ٤١٧.
(١٥٩) Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٥.
(١٦٠) Michel Le Syrien , Chronique, tom. III, p ٣١٥.

جياده وهو راكبه ، وهو ماشٍ حافي القدمين ، وطاف به وسط الجزيرة ، حتى يرى سكانها أسقفهم على هذه الحالة من الذل والمهانة ، ويقع الخوف في قلوبهم ، ويخشون بطشه ، ويقدمون له كل ممتلكاتهم وأموالهم ومتاعهم دون إخفاء شيء منها . (١٦١)

ولا ريب في أن طريقة التعذيب والإيذاء التي اتبعها رينو مع أسقف قبرص إنما تتفق والطريقة التي استخدمها قبلا مع البطريرك دامبرت بطريرك أنطاكية الصليبي ، وتتفق معها في الهدف نفسه وهو رغبته في تحصيل الأموال والثروات . وهذا يدل على صدق رواية كيناموس بشأن هذه الأحداث .

كما يتضح من هذا أن المصادر الأرمينية والصليبية والبيزنطية اتفقت فيما بينها على وصف أعمال العنف والقتل والنهب والسلب التي تعرضت له جزيرة قبرص على أيدي جنود الحملة من الصليبيين والأرمن. وعلى الرغم من كونهم مصادر معاصرة لكنها أوجزت كثيرا في وصفها هذا الأمر ، وهذا يرجع إلى عدم رغبتهم في ذكر تفاصيل عنه .

وعلي هذا النحو جمعت الحملة الصليبية الأرمينية كل ما استطاعت من أموالها وثرواتها وذهبها وماشيتها وحريرها وساقوا الأسرى من النبلاء ورجال الدين يتقدمهم يوحنا كومنين وميخائيل باراناس وعادوا إلى ساحل الجزيرة وملؤا سفنهم بكل هذه الغنائم والأسرى ، وأسرعوا في العودة .(١٦٢)

أما عن الفترة الزمنية التي قضتها الحملة في الجزيرة فقد صرح أحد المصادر أنها استغرت أيام عديدة ، قاموا فيها بسلب ونهب الجزيرة ثم عادوا إلى بلادهم (١٦٣)، بينما أشار مصدر آخر بأن جنود الحملة غادروا الجزيرة عقب قيامهم بسلبها وتقطيعهم أطراف وأنوف رجال الدين والأثرياء (١٦٤). وقدر المؤرخين المحدثين الفترة التي قضتها هذه الحملة في قبرص بثلاثة أسابيع فقط ، وخشي قادتها من قدوم أسطول بيزنطي لنجدتها فأسرعوا في العودة إلى أنطاكية (١٦٥). و يتفق الباحث مع وليم الصوري بأن الفترة الزمنية التي قضتها الحملة في قبرص لا تزيد عن أيام معدودة تقل عن ثلاثة أسابيع .

نستنتج مما سبق أن البحث في موضوع الحملة الصليبة الأرمينية على جزيرة قبرص تصدى لعدد من القضايا المهمة أولها تحديد دوافع قيامها بين الأميرين ثوروس الأرميني ورينو

---

(١٦١) John Kinnamous, Deeds Of John And Manuel Comnenus, pp ١٣٨- ١٣٩.

(١٦٢) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣. ؛
Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٥.

(١٦٣) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٤٠٢ .

(١٦٤) Smbat Sparapet , Chronical, p ١٧٥.

(١٦٥) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٥٦٢ . ؛ محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٢١٢.

دي شاتيون ، وتوصل الباحث إلى أن دوافعها تعددت بين الأميرين الأرميني والصليبي ، لأن كليهما سبق وعانى الكثير من سياسته العدائية تجاه إماراتيهما أرمينيا الصغرى وأنطاكية .

كما ناقش البحث مسألة تحديد الفترة الزمنية التي قامت فيها هذه الحملة ، ولا سيما أن مصادرها المعاصرة لم تذكر تاريخاً صريحًا لقيامها ، وأشارت إلى قيامها بين عامي ١١٥٥م – ١١٥٧م ، إلا أنه بالبحث الدقيق وتتبع مجريات الأحداث داخل المصادر الأجنبية والعربية ومقارنتها بعضها ببعض أمكن الوصول لتاريخ قيامها وهو شهر يوليو من عام ١١٥٦م / ٥٥١هـ ، حيث إن هذا التحديد يتفق مع إشارة المؤرخ البيزنطي كيناموس – وهو أقرب إلى الأحداث من غيره من المؤرخين- بأن درجة الحرارة كانت مرتفعة وتزيد عن أي وقت آخر من العام .

كذلك تصدى البحث إلى قضية أخرى على قدر من الأهمية وهي التوصل إلى معرفة الداعي للحملة أو المحرض عليها ، وبعد البحث الدقيق في المصادر توصلنا إلى أن الأمير ثوروس الأرميني هو الداعي لها ، وأن هذه الدعوى وجدت هوى لدى رينو الذي وافق على الاشتراك فيها لأنها تتفق مع دوافعه وتتناسب مع صفاته التى يتصف بها من حيث استعداده للمغامرة ومحبته الشديدة للمال وتحصيل الذهب .

كما أن رينو قام بحملة دعائية ناجحة لمشروع الحملة عندما ادعى وجود صراع ديني طائفي عنيف بجزيرة قبرص وأن القبارصة البيزنطيين يقتلون اللاتين أتباع الكنيسة الغربية لأنهم يختلفون معهم في المعتقد ، وأن القبارصة يحرضون السلاجقة على إبادة الأرمن في كليكيا ، ونتج عن ذلك أنه كسب عطف كثير من الصليبيين والأرمن .

ثم تصدى البحث لمعالجة قضية أخرى وهي المتعلقة بمشاركة الأمير الأرميني ثوروس في الحملة ، وقد اختلف على هذا الأمر المصادر والمراجع ، وبينما أيدت المصادر الأرمينية مشاركته الفاعلة وخروجه فيها – وأشار المؤرخ البيزنطى كيناموس إلى ذلك دون تفصيل – وجدنا ميخائيل السرياني ينسب القيام بها للأمير رينو الصليبي دون الحديث عن ثوروس ودوره فيها . وبالتدقيق في روايات المصادر ودراستها وتحليلها ومقارنتها أمكن التوصل إلى حقيقة واضحة هي مشاركة الأمير ثوروس في الحملة والخروج معها إلى قبرص .

ومن القضايا الأخرى التى ناقشها البحث قضية قيادة الحملة ، لمن أسند أمرها من الأميرين ثوروس ورينو ، وبالبحث في مصادر الموضوع تم التوصل إلى مشاركتهما معا جنبا إلى جنب في القيادة . وفيما يتعلق بمهام الإعدادات العسكرية لها؛ توصل البحث إلى نتيجة مفادها أن الأميرين الصليبي والأرميني أخذا على عاتقهما القيام بعملية نقل المعلومات عن الجزيرة ومواضع تحصيناتها ومقدار قوتها العسكرية ، ومظاهر ثرائها لتحديد أهداف الحملة ومقدار ما تحتاجه من تجهيزات عسكرية . كما اهتم البحث بمناقشة حجم القوة العسكرية المنوط

بها القيام بالحملة ، وتوصل إلى أنها تكونت من فرق عسكرية أرمينية وبيزنطية ، واشترك فيها كلٌ من الأميرين بأسطولهما البحري في تنفيذ المهمة ونقل الجنود والمؤن ومهاجمة الجزيرة .

وأيضا قام البحث بتفصيل مراحل هجوم القوات الأرمينية والصليبية المشتركة على الجزيرة حتى الاستيلاء على عاصمتها نيقوسيا ، إضافة إلى اهتمام الباحث بالبحث عن الأسباب التي أدت إلى هزيمة القوات البيزنطية ، وكان أهمها تقسيم قواتها إلى قسمين ، أحدهما يدافع عن السواحل والآخر عن نيقوسيا ، وهو ما أدى إلى تشتيت قواتهم . ورأى الباحث أنه كان من الأفضل اتحاد القوات البيزنطية معا في جيش واحد ومواجهة العدو ، وعند ذلك تكون فرصتهما أكبر في تحقيق النصر ، وينتج عنه تغيير في مسار الحملة ، وحماية جزيرتهم من مظاهر التخريب والسلب والقتل التي تعرضت لها . وأن أحد أسباب عدم تقدم الإمبراطور مانويل للدفاع عن الجزيرة هو ثقته في مقدرة حاكميها المدني والعسكري في التصدي لهذه الحملة.

وتوصل البحث إلى الأسباب الأخرى التي أعاقت الإمبراطور البيزنطي عن نجدة الجزيرة وتكمن في انشغاله بالحروب في إيطاليا ضد الأمير وليم حاكم صقلية والذي كان يهدد ممتلكات بيزنطة بقوة هناك ، إضافة إلى حروبه ضد المجريين ، ودفاعه عن عرشه ضد التمرد الذي قام به أندرونيكوس كومنين . كما قام الباحث بتفصيل مظاهر اعتداء جنود الحملة على الجزيرة من السلب والنهب والقتل والأسر ، واعتدائهم على الأديرة والكنائس وإهانة بطريرك قبرص ورجال الدين والاستيلاء على ممتلكات الكنيسة وخزانة الدولة .

ومن بين النتائج المهمة؛ توصل البحث إلى تحديد الفترة الزمنية التي استغرقتها الحملة في قبرص ، وكانت فترة قصيرة تتمثل في أسبوعين أو ثلاثة أسابيع على أكثر تقدير ، وهذه الفترة قصيرة جدا، وتدل على أنها غزوة وليست حملة كبيرة ، ولم يكن من بين أهدافها السيطرة على الجزيرة وإخضاعها تحت سيادتهم ، وإنما الانتقام من بيزنطة وإذلالها جراء سياستها العدائية ضد الأرمن والصليبيين في أنطاكية ، وتحقق فيها طابع المغامرة الذي ينطبع في شخصية رينو ، كما حققت له ما كان يطمع فيه من أموال وثروات عن طريق قيامه بعمليات السلب والنهب والسطو على الممتلكات، لا سيما أن الجزيرة كانت تملك الكثير من مصادر الثروة والمنتجات والبضائع التجارية والأموال، وذهب وفضة القصور والكنائس البيزنطية القديمة .

المصادر الأجنبية

- Matthew Of Edessa Chronical, trans.By Robert Bedrosaian , Sources of the Armenian Tradition Series, New Jersey, ٢٠١٧ .
- Michel Le Syrien , Chronique, trans. by Chabot, J.B., ٣ Tom., tom. III, Paris , ١٩٠٥.
- Nicetas Choniates: O City Of Byzantium Annals of Niketas Choniates, trans. by, Magoulias , H.,J.,Detroit, ١٩٨٤.
-Philostorgius, History of The Church ,Trans. By Edward Walford, hn book : The Ecclesiastical History of Sozomen and the Ecclesiastical History of Philostorgius as Compiled by Photius, Patriarch of Constantinople, London, ١٨٥٥.
-Odo de Deuil, De Profectione Ludovici VII en Orientem,ed. Berry, New York , ١٩٤٨.
- Samuel d Ani, hronographie, tom , ١ ,R. H. C. Doc. Arm, tom. ١ . paris, ١٨٦٩.

- Smbat Sparapet, Chronical, trans.By Robert Bedrosian, Sources of the Armenian Tradition Series , New Jersey, ٢٠٠٥.
- Socrates, church History from ٣٠٥- ٤٣٩ A.D . , trans.by, Zanos , A. C., U. S. A.,١٨٩٠.
- Theophanes, Chronical , trans. Mango , C., and Scott, R. , Oxford , ١٩٩٧.
- Vahram d Edesse, Chronicque, R. H. C. Doc. Arm, ٢ tomes, tom , ١ , Paris, ١٨٦٩.
- Zonaras, The History Of Zonaras From Alexander Severus to the Death Theodosius the Great , trans. By Banchich, T.M. and Lane , E.N., London , ٢٠٠٩ .

المصادر المعربة :

- آنا كومنينا : الكسياد ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، الطبعة الثانية ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠٠٩ .
- دانيال الروسي : رحلة حج الراهب دانيال الروسي: ترجمة وتعليق سهيل زكار ، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣١ ، دمشق ، ١٩٩٨.
- فوشيه الشارتري : الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥–١١٢٧م ، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠١.
- مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني : القانون الثالث ، ترجمة الأب أثناسيوس المقاري ، بكتاب قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية ، مجموعة الدرة الطقسية للكنيسة القبطية بين الكنائس الشرقية ، السلسلة الأولى : مصادر طقوس الكنيسة ، الجزء الخامس ،

القاهرة : مكتبة مجلة مرقس، ٢٠١٣ .

- مجمع خلقدونيا : القانون الثامن والعشرون ، ترجمة الأب أثناسيوس المقاري ، بكتاب قوانين المجامع المسكونية ، مجموعة الدرة الطقسية للكنيسة القبطية بين الكنائس الشرقية ، السلسلة الأولى : مصادر طقوس الكنيسة ، الجزء الخامس ، القاهرة : مكتبة مجلة مرقس، ٢٠١٣.
- مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- مؤرخ مجهول : تاريخ الرهاوي المجهول ، ترجمة وتحقيق الأب البير أبونا ، الجزء الثاني ، بغداد : مكتبة النور ، ١٩٨٦.
- وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، ٤ أجزاء ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١- ١٩٩٥.
- يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ، ترجمة مرقس داود ، القاهرة : مكتبة المحبة ، ١٩٧٩.

المصادر العربية

- ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤م) عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير بابن الأثير: الكامل في التاريخ ، المعتني به أبو صهيب الكرمي ، ١٢ جزء فى مجلد واحد ، الأردن : بيت الأفكار الدولية ، د.ت. ، ص.١٤٧١
- ابن بطوطة (٧٧٩- ١٣٧٧) أبو عبد الله محمود بن عبد الله : رحلة بن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه محمد عبد المنعم العريان ، ٢ جزء ، بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٩٨٧ ، ج١ ، ص٩٧ ، ٢٩٠.
- ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) أبي القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض ، ٢ قسم في مجلد واحد ، بيروت : دار صادر ، ١٩٣٨.
- ابن الشحنة (٨١٥هـ / ١٤١٢م) الشيخ محب الدين أبي الوليد محمد بن محمد : روض المناظر في علم الأوائل والأواخر ، تحقيق سيد محمد مهنى ، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.
- ابن العبري (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي : تاريخ مختصر الدول ، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي ، الطبعة الثانية ، لبنان : دار الرائد اللبناني ، ١٩٩٤ .
- ---------- : التاريخ الكنسي ، ترجمة المطران صليبا شمعون ، ج ٢ جزء فى مجلد واحد ، ج١ ، دهوك : دار المشرق الثقافية ، ٢٠١٢، ٢٨ .

- ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٥ – ٣٣٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ص ١٨٩٦ ، ١٨٩٩.
- ابن القلانسي (٥٥٠هـ /١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد : تاريخ أبو يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط بن الجوزى والحافظ الذهبي ، القاهرة : مكتبة المتنبي ، ١٩٩٧.
- الأنصاري الدمشقي ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن ابى طالب الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بغداد ، د.ن..
- أبو الفداء (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، طبع في باريس ، ١٨٤٠، ص ٢٥٧.
- أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣م) : المسالك والممالك ، بيروت : دار صادر ، ١٨٨٩ .
- المقدسي البشارى(٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) ابو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي المعروف المقدسي البشارى : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٣١ .
- الكرخي(ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي: مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٣٧ .
- الشريف الإدريسي (٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، بيروت : دار الكتب العلمية ٢٠٢٠.
- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : معجم البلدان ، أجزاء ١، ٤، ٥ ، بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧.

المراجع الأجنبية

- Ainsworth, W.F., Travels And Reaserches In Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea And Armenia, ٢vol., vol.١ ,London , ١٨٤٢.

-Boase, T.S.R. , The History Of Kingdom, in book: The Cilician Kingdom Of Armenia , ed. By Boase, London , ١٩٧٨., p٣ , ٢٠.

- ---------- , Gazetteer, in book: The Cilician Kingdom Of Armenia , ed. By Boase, London , ١٩٧٨.

-Hewsen , R. H. , Armenia Maritima: The Historical Geography of Cilicia,

in book : Historic Armenian Citices and Provinces , vol. ٧, ed. By Hovannisian, U.S. A., ٢٠٠٨.

Kurkjian, V.M., The Armenian Kingdom Of Cilicia, New York , ١٩١٩.-

-Mogarth, D.G., The Near East, London, ١٩٠٥.

-Schlumberger G., Renaud de Châtillon, prince d'Antioche, seigneur de la terre d'Outre-Jourdain,Paris, ١٨٩٨.

William Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor, London , ١٨٩٠.

-

المراجع المعربة

- استارجيان ، ك. ل. : تاريخ الأمة الأرمينية ، الموصل : مطبعة الاتحاد الجديدة ، ١٩٥١ .
- أندرو ملر : مختصر تاريخ الكنيسة ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة الأخوة ، ٢٠٠٣.
- ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس) ، ترجمة السيد الباز العريني ، ج ٢ الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- ---------- : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧.
- كيرلس مقار (بطريرك) : الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة ، ترجمة صاحب مجلة صهيون ، ٣ أجزاء ، القاهرة : مطبعة الشمس ، ١٩٢٧ .
- يوحنا لورنس فان موسهيم : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ، ترجمة القس هنري هرس الأمريكاني ، بيروت : المطبعة الأمريكانية ، ١٨٧٥ .

المراجع العربية

- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ٣٢٣ – ١٠٨٣م ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥.
- جان كمبي (الأب) : الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، لبنان : دار المشرق ، ١٩٩٤.
- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ – ١٤٥٣م ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٥ .
- حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١– ١٢٦٨م / ٥٦٧– ٦٦٦هـ)، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.

- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، جزاءان ، ج ١ ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦،.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٢١٠ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢.
- علية عبد السميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، ص ٣١٤ ، ٣١٩ وما بعدها .
- كميل عزيز: لاذقية الشام ودورها في العصر الإسلامي (١٠٩٥- ١٢٩١م ٤٨٨ -٦٩٠هـ)، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٨.
- محمد محمد مرسي الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣،
- محمد محمد مرسي الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧م- ١١٤٤م ، الإسكندرية : دار الثغر ، ١٩٧٤.
- محمد محمد مرسي الشيخ : عصر الحروب الصليبية في الشرق ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦.
- محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ ١١٨٠م ، الإسكندرية : دار المعارف ، ١٩٨٤.
- محمود سعيد عمران : الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، بيروت : دار النهضة العربية ، ٢٠٠٢.
- محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي) ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١.
- مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار نوبل ، ١٩٨٠.

أرمينيا الكبرى الوطن الأول للأرمن نقلا عن : مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، خريطة رقم (١) بعد ص ٦٤.

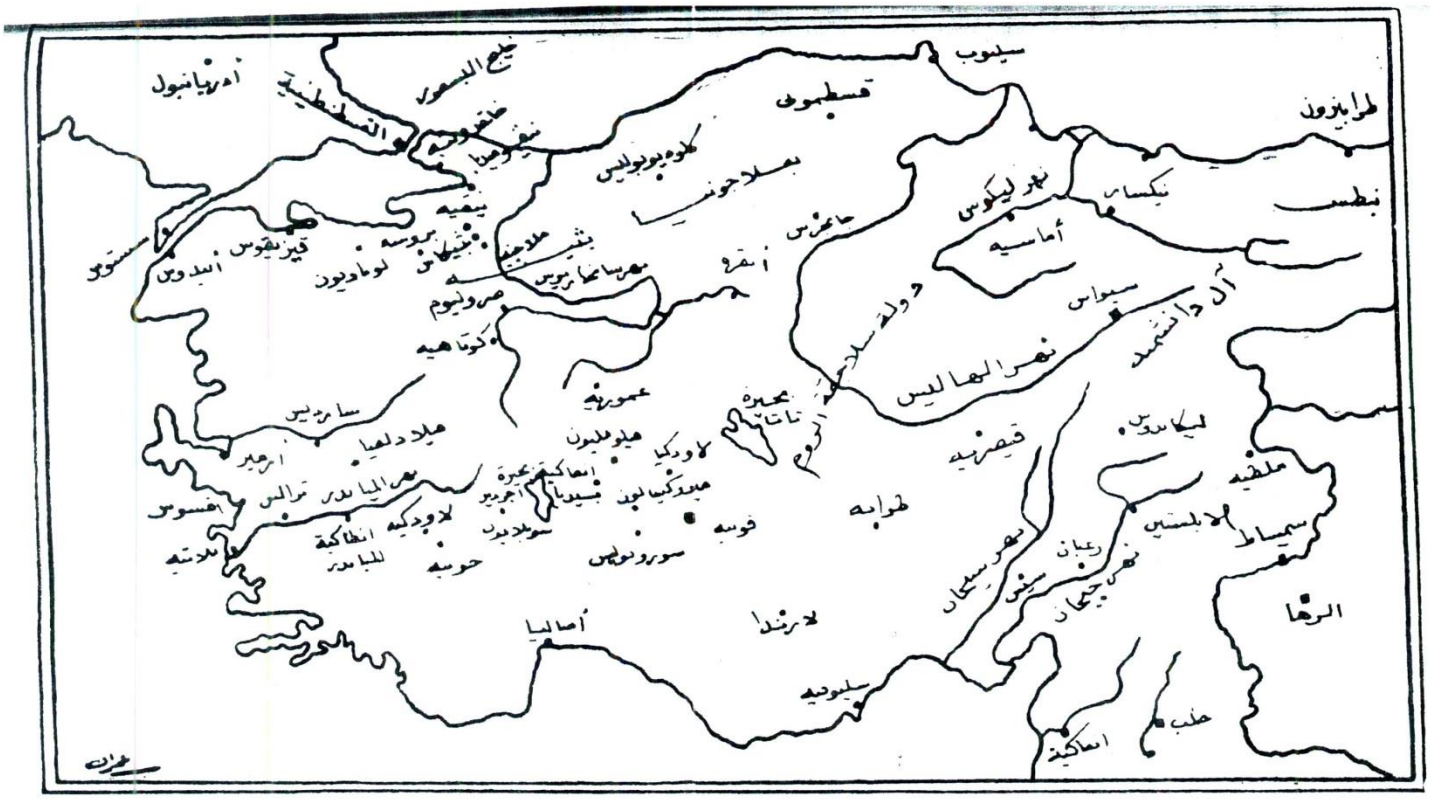

آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي. نقلا عن محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٤٤٥.

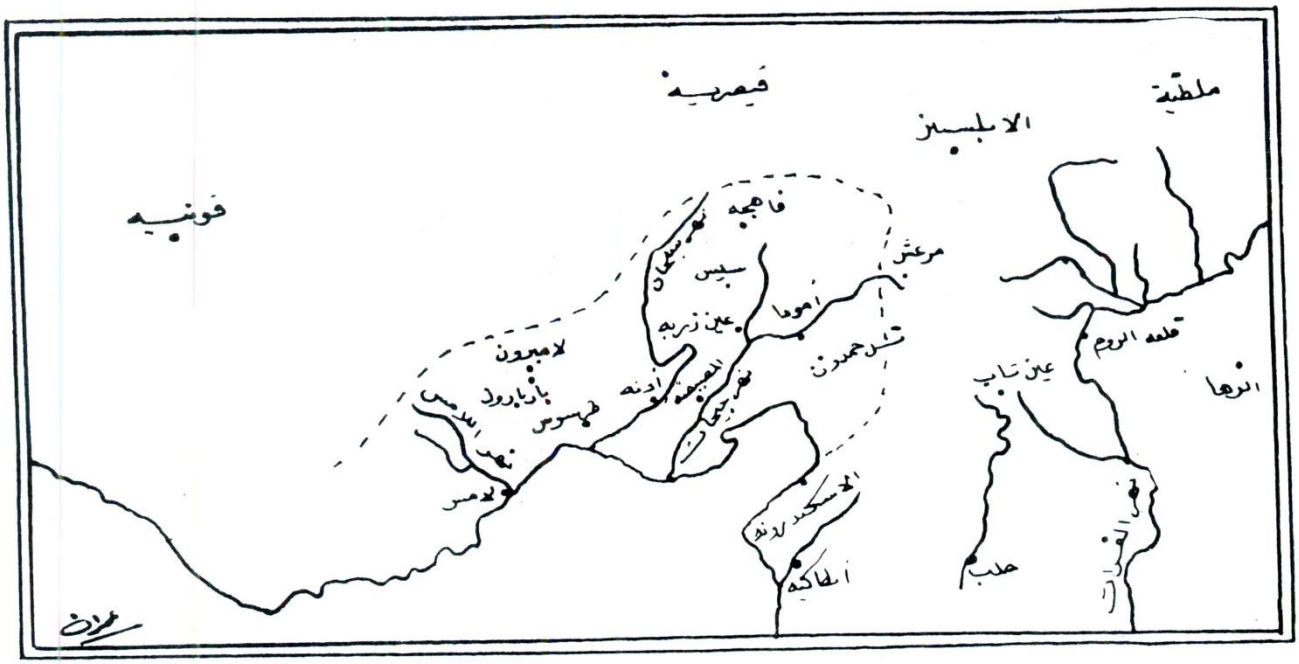

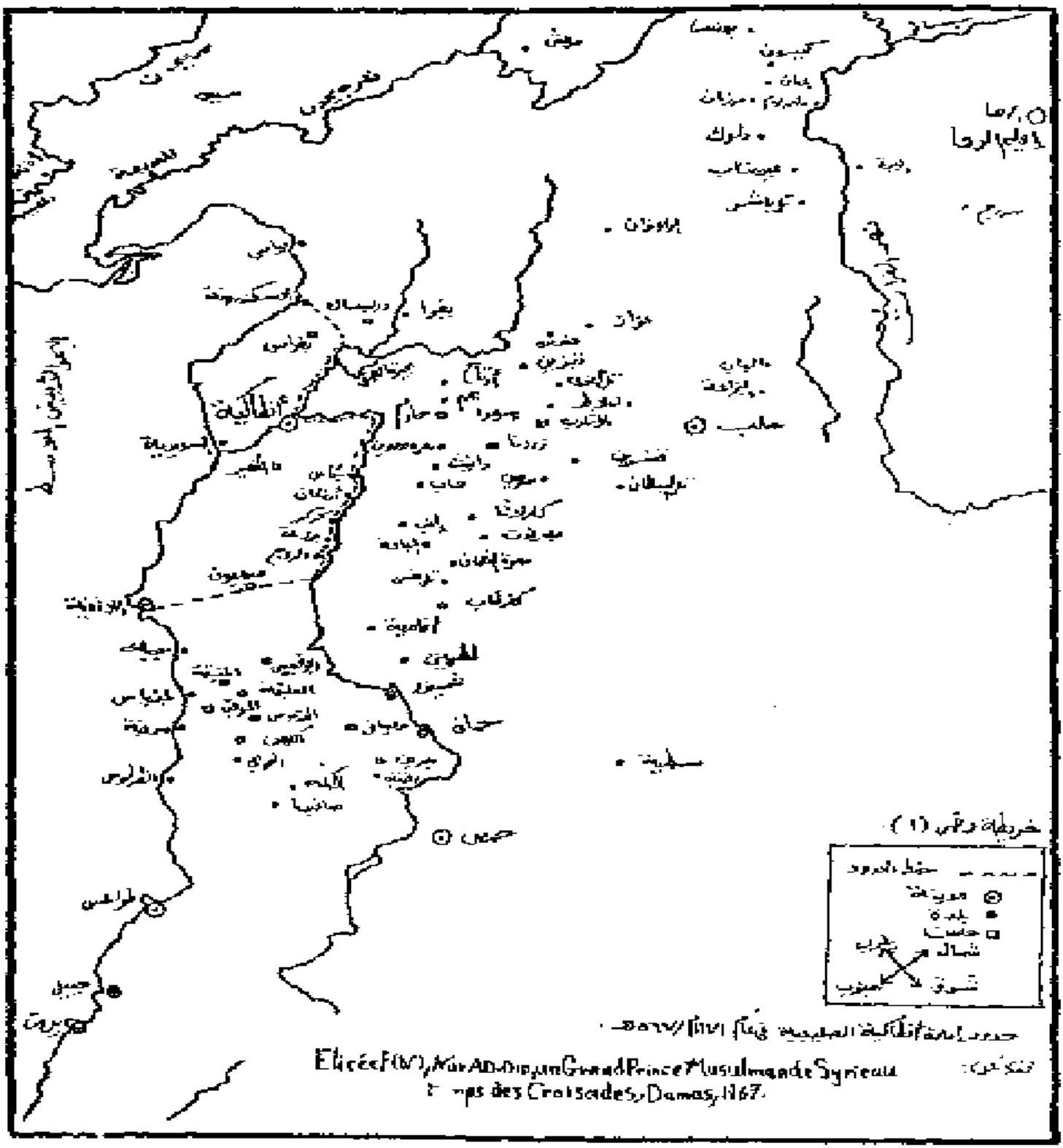

أنطاكية في منتصف القرن الثاني عشر . نقلا عن : حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، خريطة رقم (١) ، بعد ص ٥٢٨.

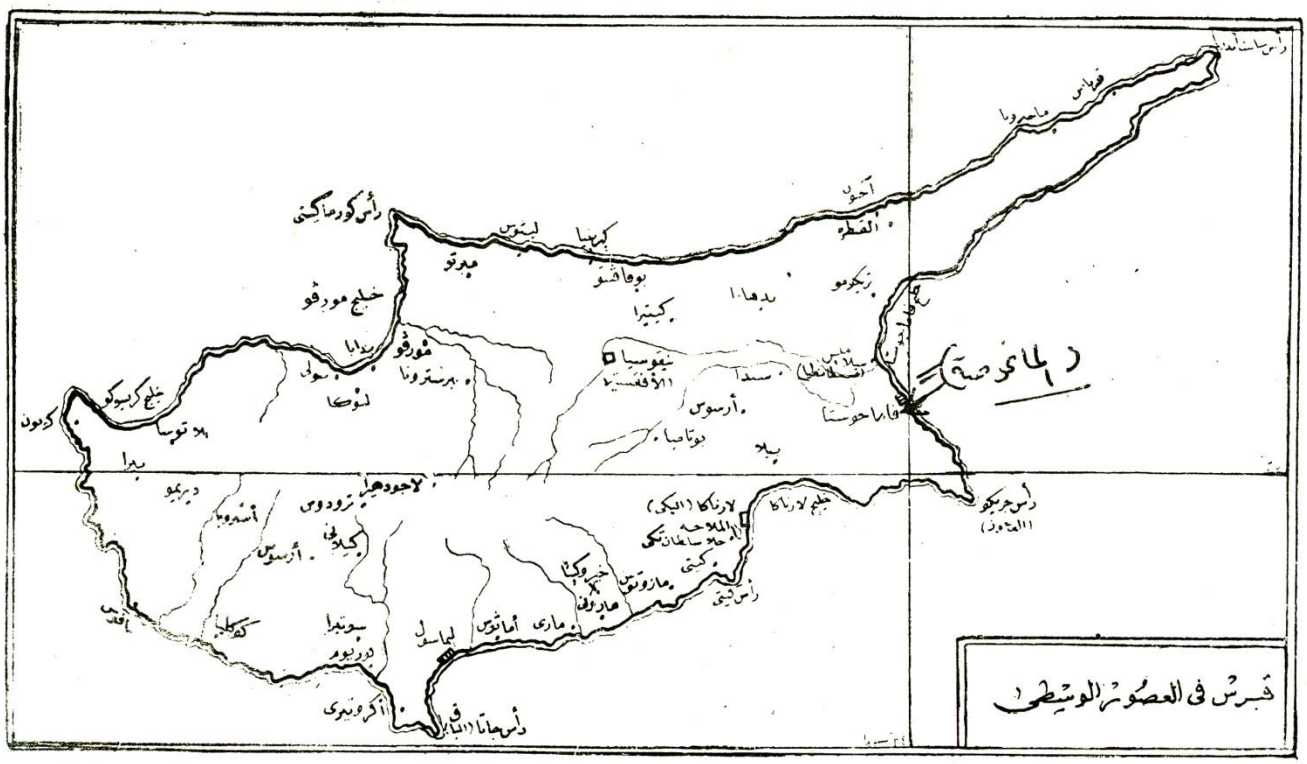

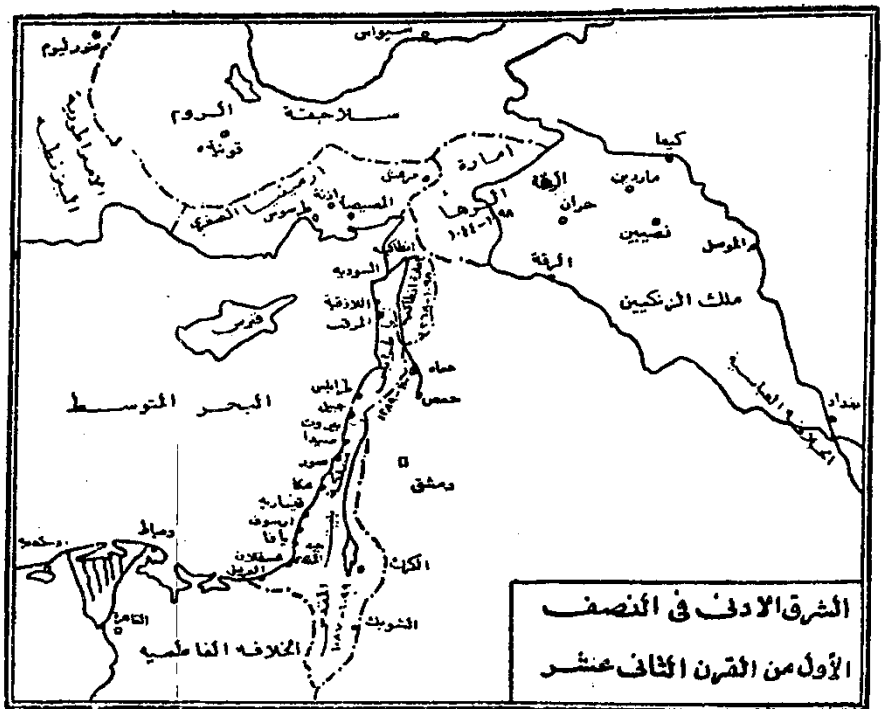

الشرق الادنى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر ، نقلاً عن : علية عبدالسميع الجنزورى ، امارة الرها الصليبية ، ص ٤١٦

حكام إمارة أنطاكية الصليبية حتى رينو دي شاتيون

بوهيمند الأول	١٠٩٨- ١١٠٤
تنكريد	١١٠٤ – ١١١٢
بوهيمند الثاني	١١٢٦ – ١١٣٠
ريموند أف بواتيه	١١٣٦ -١١٤٨
رينو دي شاتيون	١١٥٣- ١١٦٠

أمراء أرمينية الصغرى ٠ أرمينية الكليكية حتى ثوروس الثاني

روبين الأول	١٠٨٠ - ١٠٩٥
قنسطنطين الأول	١٠٩٥ – ١١٠٠
ثوروس الأول	١١٠٠ – ١١٢٩
ليون الأول	١١٢٩ - ١١٣٦
ثوروس الثاني	١١٤٤- ١١٦٧